د. حسين على المسرى (*)

مدينة الرى فى تاريخها السياسى من العصر العباسى الثانى حتى سقوط بغداد

ملخص البحث

إن مدينة الرى تعد واحدة من المدن الفارسية القديمة التى تمتاز بعراقة تاريخها الحضارى القديم، فقد كانت من مراكز الحضارة والثقافة القديمة عند الفرس، وظلت محافظة على هذا التراث متمسكة به، وفى العصر الإسلامى فتحت هذه المدينة ولكن بعد محاولات قام بها الفاتحون.

أما مدينة الرى فى الوقت الحاضر فليس لها شأن يذكر، فقد أفل نجمها وانطفأ نورها الحضارى، وتحولت إلى قرية متواضعة بسيطة معظم سكانها من الفقراء ، وقد سلبت أضواء هذه المدينة العريقة مدينة طهران العاصمة الحالية لجمهورية إيران، التى أنشأت على بعد (٨) كيلو مترات من مدينة الرى. وفى مدينة الرى ضريح يسمى شاه عبد العظيم ، وهو من أحفاد الإمام الحسن بن على بن أبى طالب ويعتبر من المزارات الهامة فى جمهورية إيران .

لقد استفادت مدينة الرى فى الإسلام من الرصيد الحضارى الذى كانت تمتلكه ، فقد كان لهذه المدينة دور سياسى واقتصادى وثقافى واضح فى العصر العباسى مع ما مرت به من عوائق ، ويعود الفضل فى ذلك إلى موقعها الجغرافى الهام والمميز فى النواحى الاقتصادية والسياسية والعسكرية، لذلك حرصت كل القوى التى ظهرت على الساحة

* قسم التاريخ – جامعة الكويت .

السياسية السيطرة على هذه المدينة، وكان هذا النشاط السياسى والعسكرى فى السيطرة على مدينة الرى متزامنا مع ضعف الخلافة العباسية، فإن ضعف الخلافة قد أفسح المجال أمام هذه القوى على التنافس فى السيطرة على مدينة الرى.

لذلك فإننا نلاحظ من سير الأحداث، أن التاريخ السياسى لمدينة الرى ، لاسيما فى العصر العباسى الثانى، يمتاز بعدم الاستقرار، فقد مرت على مدينة الرى فترات ذات طابع سياسى مضطرب وغير مستقر يمتاز بأحداث سياسية سريعة الحدوث متلاحقة متشابهة فى أسباب حدوثها حتى إنك لاتكاد تميز بين عدوان وآخر على مدينة الرى من حيث الأسباب والدوافع.

وربما كانت بداية هذا الاضطراب وعدم الاستقرار فى تاريخ مدينة الرى فى أواخر العهد الطاهرى، فقد أساء نواب الطاهريين على مدينة الرى إلى أهلها واعتدوا على أملاكهم ، فاستعان أعيانها بالعلويين ولم يتردد العلويون فى قبول هذه الدعوة، وقد قاد هذه الحركة الحسن بن زيد بن محمد الطالبى، واستطاع العلويون بسط نفوذهم على الرى وأعمالها .

ولما انتهى العهد الطاهرى جاء السامانيون وتمكنوا من إخضاع مدينة الرى لنفوذهم لاسيما بعد أن ضعف النفوذ العلوى على الرى. لكثرة الصراعات والمنافسات بين القوى ، ويبدو أن السامانيين عجزوا عن الاحتفاظ بسيطرتهم على الرى، فقد استطاع (أسفار بن شيرويه) المتمرد على السامانيين انتزاع مدينة الرى من أيديهم.

وظلت مدينة الرى بعد ذلك تتجاذبها القوى إلى أن جاء البويهيون الذين تمكنوا من بسط نفوذهم على بلاد فارس ومدينة الرى وأعمالها بعد حروب تكاد تكون مستمرة خاضوها ضد السامانيين والقوى المناوئة الأخرى، وامتد نفوذ البويهيين من بغداد العاصمة إلى سائر مدن العراق، لاسيما فى عهد الأخوة الثلاثة وهم: ركن الدولة الذى يحكم مدينة الرى وأعمالها وعماد الدولة على بلاد فارس ومعز الدولة على بغداد.

وقد زال النفوذ البويهى عن الرى بسبب الصراعات التى وقعت بين أبناء البيت البويهى الحاكم ، وقد هيأ هذا الوضع الظروف لمجيئ الغزنويين وسيطرتهم على مدينة الرى وسائر أعمالها.

أن الفساد الإدارى الذى مارسه نواب السلطان مسعود الغزنوى على الرى كان سببا فى الإسراع بضياع النفوذ الغزنوى عن مدينة الرى، ولم تنفع المحاولات التى بذلها السلطان مسعود لعلاج هذا الفساد .

هذا المناخ السياسى المضطرب غير المتوازن الذى يخيم على مدينة الرى قد أفسح المجال أمـام الأتراك السـلاجقـة فى عـهـد السلطان طغـرلبك من السـيطرة على مـدينة الرى. ولكن الصراعات المتكررة بين الأتراك أنفسهم، بالإضافة إلى القوى الطامعة فى السيطرة على مدينة الرى، نجم عنه إضعاف نفوذ الأتراك، وقد حببت هذه الأجواء للدولة الخوارزمية الفتية القوية غزو مدينة الرى ثم السيطرة عليها.

وأخيراً فإن مدينة الرى لم تسلم من خطر المغول التتار، شأنها فى ذلك شأن سائر المدن المجاورة لها والبعيدة عنها، فقد لحق بها الدمار من جراء هجمات التتار المتكررة ، فتضررت بذلك حياتها السياسية والاقتصادية والثقافية، فكان لذلك تأثير واضح على النشاط الحضارى لمدينة الرى.

وفيما يتعلق بالمصادر التى استعنا بها فى تحقيق هذا البحث ، فجميعها مصادر تاريخية، لعل من أبرزها وأهمها بالنسبة لهذا البحث كتاب (تجارب الأمم) لابن مسكويه والكتاب المذيل عليه ، لأبى شـجاع ظهير الدين الروذراورى ، فـقد عُرضتْ الأحداث فى هذين الكتابين بدقة وبتفصيل أكثر من المصادر الأخرى؛ ومن المصادر التاريخية التى أفادتنا كثيرا : كتاب (تاريخ البيهقى) ، لأبى الفضل محمد بن حسين البيهقى، من أهل خراسان ولد فى سنة ٣٨٥هـ/ ٩٩٥م، وكان يعمل كاتبا للسلطان مسعود الغزنوى، فهو الذى يحرر الرسائل المتبادلة بين السلطان مسعود وبين نوابه على مدينة الرى، فكان معاصرا وقريبا من الاحداث ، لذلك فإن ما حرره من رسائل تعتبر وثائق وشاهد عيان على الأحداث إبان هذه الفترة من تاريخ مدينة الرى. وأخيرا كتاب (الكامل فى التاريخ)، لابن الأثير الذى ظل ملازما لنا بأحداثه التاريخية الهامة طوال الفترة الزمنية المقررة لهذا البحث ، فأفدنا منها كثيرا.

مدينـــة الـــرى فـــى تاريخهـــا السياســـى
من العصر العباسى الثانى حتى سقوط بغداد

مدينة الرى من المدن الفارسية القديمة والعريقة ، حتى أن التاريخ لم يدرك على وجه التحديد بداية بنائها ، وقد وصل إليها الفتح الإسلامى ودخلت فى الإسلام ولكن بعد محاولات عديدة من الفاتحين حتى تم إخضاعها . وقد تأثرت مدينة الرى بالأحداث السياسية المحيطة بها، وقد تفاعلت معها وكان لها الدور الفاعل .

ولم تعد مدينة الرى فى الوقت الحاضر ذات قيمة سياسية أو ثقافية كما كانت فى الفترة التى نريد أن نتحدث عنها، فقد أفل نجمها وحلت محلها مدينة طهران العاصمة الحالية لجمهورية إيران ، والتى تبعد عنها بحوالى (٨) كيلو مترات .

وحديثنا عن مدينة الرى كما جاء فى عنوان هذه الدراسة، يبدأ من العصر العباسى الثانى وحتى سقوط بغداد فى سنة (٦٥٦هـ / ١٢٥٨م)، وقد خصصت هذه الدراسة للجانب السياسى لهذه المدينة.

وكما هو معلوم ومتعارف عليه عند المؤرخين أن العصر العباسى الثانى يبدأ بعهد الواثق ، أبوجعفر هارون بن المعتصم (٢٢٧-٢٣٢هـ / ٨٤٢-٨٤٧م) ، ثم الخلفاء الذين أعقبوه، وهو عصر يتميز بالضعف والتمزق والانقسام فى جسم الدولة العباسية بسبب ضعف الخلفاء العباسيين وتسلط العناصر الأجنبية.

هذا الوضع السياسى السيئ المتهالك الذى يعيشه الخلفاء آنذاك، كان له انعكاساته الإيجابية عند العناصر المناوئة للخلافة والتى تختلف معها سياسيا وفكريا ومذهبيا ، فراحت تحيك المؤامرات وتؤلب الأقاليم وتحرك المعارضين، فعمت الفوضى السياسية والعسكرية فى هذه الولايات والمدن، لاسيما البعيدة عن مقر الخلافة. وقد تأثرت مدينة الرى بهذا المناخ السياسى والمذهبى والثقافى المضطرب فراحت تتفاعل معه فكان لها الدور الواضح والفعال ، وهذا ما سوف نرصده ونبحثه فى هذه الدراسة وما تتضمنه من أحداث .

النزاع بين الطاهرية والزيدية فى السيطرة على الرى وحوادث أخرى:

عندما تولى هارون الواثق الخلافة، كانت مدينة الرى وخراسان وكرمان وطبرستان والسواد وما والاها يتولاها عبدالله بن طاهر[1] وكان على درجة كبيرة من الكفاءة فى القيادة

والإدارة، فقد ضبط هذه الولايات ، وكان على مقدار ما يقدمه من خراج فى كل عام لمدينة الرى وسائر هذه المدن يصل إلى ٤٨ ألف ألف درهم أى ما يساوى ٤٨ مليون درهم . ولما توفى الوالى عبدالله بن طاهر فى سنة (٢٣٠هـ/ ٨٤٤م) أسند الواثق أمر هذه الولايات بما فيها مدينة الرى إلى ابنه طاهر(٢).

وعند وفاة الواثق تولى بعده أخوه المتوكل، جعفر بن المعتصم فى سنة (٢٣٢هـ - ٢٤٧ / ٨٤٧-٨٦١م)، وقد أحدث المتوكل تغييرات إدارية ، ففى سنة (٢٣٥هـ / ٨٤٩م) قسم الولايات الإسلامية بين أبنائه الثلاثة، وهم : محمد المنتصر بالله وطلحة المعتز بالله، وإبراهيم المؤيد بالله، فكان نصيب طلحة مدينة الرى وطبرستان وخراسان وأرمينية وأذربيجان وكور فارس(٣).

وكان العامل على مدينة الرى إبان هذه الفترة، السرى بن معاذ الشيبانى، وكان تعيين العمال يتم ضمن إدارة الأمير طلحة المعتز بالله وهو المسئول عن هذه الجهات تحت مظلة الإدارة الكلية للخليفة المتوكل، وقد توفى عامل الرى فى سنة (٢٤٦هـ / ٨٦٠م) ودفن بمدينة الرى(٤).

وكثيرا ما كانت مدينة الرى تتعرض إلى بعض الكوارث المدمرة ، مثل الزلازل ففى سنة (٢٤١هـ / ٨٥٥م)، ضربت مدينة الرى زلازل مُدمرة راح ضحيتها العديد من الناس، ولاتستبعد أن يكون لمثل هذه الزلازل والكوارث آثارها السلبية على الوضع السياسى والاجتماعى لهذه المدينة(٥).

بداية ضعف النفوذ العباسى على مدينة الرى وظهور الحركات الانفصالية:

حركة الحسن بن زيد بن محمد الطالبى (٦):

كانت بداية حركة الحسن بن زيد فى مطلع سنة (٢٥٠هـ- ٨٦٤م) وهو من سكان مدينة الرى، وكانت مدينة الرى تتأثر كثيرا بالأوضاع السياسية المحيطة بها التى تمر بها المنطقة، فى طبرستان وخراسان والديلم، وقد تهيأت الظروف فى مدينة الرى لهذه الثورة، وذلك لما كان من استبداد الأمراء الطاهريين ومن ينوب عنهم فى هذه المقاطعات والمدن، ومن أمثلة ذلك ما كانوا يقومون به من اعتداءات متكررة على حقوق الناس السياسية والاجتماعية والاقتصادية؛ من مزارع وأراضٍ (٧).

هذه الأوضاع السيئة أثارت حفيظة الأعيان وأهل الرأى فى هذه المدينة، وأثارت غضبهم على هؤلاء العمال، فتحرك هؤلاء الأعيان، وكان يمثلهم: محمد وجعفر ، وهما أبناء (رستم إخوان) طلبا مساعدة العلويين؛ وهم الأعداء التقليديون للعباسيين وسبب توجههم للعلويين هو لإعطاء هذه الحركة صفة وثقلا شرعيا حتى تكسب التأييد من العامة والخاصة.(٨)

وهكذا فإنهما إتصلا بمحمد بن إبراهيم ؛ أحد الطالبيين، وكان يسكن بطبرستان يدعونه ويبايعونه على الثورة ضد هؤلاء العمال المستبدين، ولكن محمد بعد أن فكر فى الأمر اعتذر عن قبول هذه الدعوة ، حيث لم يجد فى نفسه الهمة والعزيمة للقيام بمثل هذا الأمر وتحمل هذه المسئولية ، لكنه أرشدهما إلى غيره من العلويين ، فقال لهما : (لكنى أدلكم على رجل منا هو أقوم بهذا الأمر منى) (٩).

أرشدهم إلى الحسن بن زيد سالف الذكر، وهو من العلويين، فحملوا إليه رسالة من محمد ابن إبراهيم يدعونه فيها المجيئ إلى طبرستان حتى يتيسر لهم التخطيط بهدوء لهذه الثورة ، فقدم إليهم الحسن بن زيد من الرى، وكان للحسن من الطموح والتطلع السياسى ما دفعه لقبول مثل هذه الدعوة دون تردد، بل والترحيب لها (١٠).

وقد قامت هذه الثورة بقيادة الحسن بن زيد ، وكتب لها النجاح لأنها قامت على أسس مدروسة ولأن التهيؤ الكبير الذى قد صاحبها شمل القاعدة من العامة والخاصة فى هذه المدن، وما تم من تلاحم كبير بين المدن الثلاث وهى : الرى وطبرستان والديلم، وهذا الموقف المتعاون المتحد مع هذه الثورة يعطينا مؤشرا واضحا عن مدى غضب العامة والخاصة وكراهيتهم للعمال الطاهريين (١١).

وقد تمكن الحسن بن زيد بعد معارك عنيفة وطاحنة مع سليمان بن عبدالله بن طاهر ونوابه على هذه المدن من طرد عمال الخليفة المستعين عن هذه المدن، وعين عليها عمالا من أتباعه . أما مدينة الرى فإنه بعث إليها واحدا من أهل بيته لينوب عنه ويذكر الطبرى وكذلك ابن الأثير، أن اسمه حسن بن زيد أيضا ، ولكن حسن هذا ترك مدينة الرى، وأناب عنه أحد العلويين، واسمه محمد بن جعفر (١٢).

وكانت الخطبة والدعاء فى مدينة الرى للحسن بن زيد الذى اتخذ من طبرستان مقرا لحكومته ، ولكن محمد بن جعفر لم يكن مؤهلا للحكم والقيادة وإدارة المدينة، فقد أساء إلى جماعات من أهل خراسان كانت تسكن مدينة الرى، ولانعرف على وجه الدقة لماذا تعرض لهم بالإساءة ، ويحتمل أنهم كانوا متعاطفين مع بنى طاهر حكام خراسان(١٣).

كما أساء فى ذات الوقت إلى أهل مدينة الرى على حد قول ابن الأثير، يقول : (ظهرت منه أمـور كـرهـهـا أهل الرى) (١٤). هذه الأوضـاع التى تمر بهـا مـدينة الرى قد لفتت انتبـاه الطاهريين، فـأسرع محمد بن طاهر بن عبدالله بن طاهر وبعث قائده. محمد بن ميكال ، على رأس قوة عسكرية تمكن بها من احتلال مدينة الرى، فعادت المدينة إلى النفوذ الطاهرى، ولكن الحسن بن زيد - وهـو ليس بحسن بن زيد الذى ترك مدينة الرى- لم يتوان فقـد أعد جيشـا بقيادة شخص يقال له (واجن) (١٥)، والتقى الجيشان، فكان النصر حليف القائد (واجن) وقتل القائد محمد بن ميكال، وعادت الرى مرة أخرى إلى نفوذ الحسن بن زيد (١٦).

وهكذا استطاع الحسن بن زيد فى أواخر سنة (٢٥٥هـ) أن يحقق هذا النجاح الكبير ويخضع هذه المنطقة لنفوذه ، ويمكننا القول: أن من نتائج هذه الثورة التى أججها الحسن بن زيد أبعاد ثلاثة : سياسية ودينية واجتماعية.

ففى الجانب السياسى، شمل نفوذ العلويين بقيادة الحسن بن زيد فى هذه المناطق مدينة الرى وطبرستان والديلم (١٧)، وعلى المسار الروحى الدينى فإن أكثر أهل طبرستان قد اعتنقت المذهب الشيعى الزيدى الذى أسسه الحسن بن زيد، وقد انتشر المذهب الزيدى بمدينة الرى أيضا(١٨). ومن نتائج هذه الثورة على الصعيد الاجتماعى، أن العلويين أصبحوا يشكلون طبقة مميزة فى المجتمع لاسيما فى مدينة الرى(١٩).

إلا أن نفوذ الحسن بن زيد السياسى والعسكرى قد أثار حفيظة الأمراء الطاهريين ، فقرروا التخلص من نفوذ الطالبيين ليس فقط من الرى وإنما من جميع المدن التى يسيطر عليها الحسن بن زيد ، فقد تمكنوا من السيطرة على طبرستان واعتقال الحسن بن زيد مع جماعة من زعماء العلويين، مثل إدريس بن موسى بن عبدالله الذى يتصل نسبه بعلى بن أبى طالب، وأعاد الطاهريون نفوذهم على سائر المدن، ولكن الحسن بن زيد تمكن من الهرب (٢٠).

ويذكر المسعودى أن هناك حركة أخرى قام بها العلويون بمدينة الرى، قام بها أحمد بن عيسى بن حسن بن على ، الذى يتصل نسبه بعلى بن أبى طالب، وقد ظهرت هذه الحركة بعد القضاء على حركة الحسن بن زيد، وكان أحمد بن عيسى يدعو إلى الرضا من آل محمد، وقد اصطدم مع محمد بن طاهر فانهزم الأمير الطاهرى إلى بغداد(٢١).

وفى عهد الخليفة المعتز، وهو الزبير بن جعفر المتوكل، كان المتولى على مدينة الرى موسى ابن بغا ، وقد اجتهد موسى بن بغا فى محاربة الحسن بن زيد (٢٢)، وفى ذات الوقت كـان

للأتراك نفوذ قوى وتسلط على الخلافة العباسية منذ عهد المعتصم ، فأصبح الخليفة معهم مسلوب الإرادة لاحول له ولا قوة والأمر كله بيد الأتراك، وكان بيدهم عزل وتولية الخلفاء وإذا لزم الأمر- فى بعض الأحيان- عمدوا إلى قتله كما صنعوا مع الخليفة المعتز فى سنة (٢٥٥هـ/ ٨٦٨م) ، فلما أحست قبيحة وهى أم المعتز أن ابنها فى خطر استنجدت بموسى بن بغا أمير مدينة الرى، ولكن موسى وصل بعد فوات الأوان، إذ أجهز عليه الأتراك وقتلوه وبايعوا المهتدى بالله، وهو محمد بن هارون الواثق بن المعتصم، وباشر أعماله فقد أمر موسى ابن بغا بالعودة إلى مدينة الرى ولكن موسى رفض الذهاب متعللا بأن جنوده يرفضون الذهاب ويصرون على البقاء فى سامراء، ولكن الحقيقة أن موسى كان يضمر الشر فكان ينوى الايقاع بالخليفة، فقد وصلت عساكره إلى العراق فى مطلع سنة (٢٥٦هـ / ٨٦٩م) ، فاعتقلوا الخليفة المهتدى ونهبوا أمواله(٢٣). وفى هذه الفترة التى نتحدث عنها ظهر صاحب الزنج، واسمه على بن محمد بن عبد الرحيم، ويقول أنه من قرية ورزنين من أعمال الرى، ويدعى أن نسبه يتصل بعلى بن أبى طالب (٢٤).

وقد تمكن الحسن بن زيد العلوى الهارب من الطاهريين أن يكون له الأتباع ويستجمع قوته زمن الخليفة العباسى المعتمد على الله، وهو أحمد بن جعفر المتوكل، فتمكن الحسن من السيطرة على خراسان وجرها من بنى طاهر (٢٥)، كما استولى على طبرستان وتحصن بها، ومنها أخذ يشن هجماته على المدن المجاورة ، ففى سنة (٢٥٦هـ / ٨٦٩م) توجه نحو الرى واستولى عليها فى شهر رمضان من هذه السنة، ولكنه عاد أدراجه إلى طبرستان بعد أن علم باستعداد موسى بن بغا لمحاربته (٢٦)، وقد تم لموسى بالفعل السيطرة على مدينة الرى فى شوال (٢٧).

وفى سنة (٢٥٧هـ / ٨٧٠م) عاد الحسن مرة أخرى إلى الرى، وقد كان الأمير عليها من قبل الخلافة العباسية، عبد العزيز بن دلف ، فلما علم بقدوم الحسن بن زيد واستعداده التام للحرب والنزال، تركها فى الحال ودخل الحسن المدينة وعين قائده القاسم بن القاسم بن على العلوى عاملا عليها، وكان أهل الرى يكرهونه لعلمهم بسوء أخلاقه ، فمن ضمن ما قام به من أعمال، إقتلاعه لأبواب المدينة الحديدية وبعثه بها إلى الحسن بن زيد ، وظل أميرا على مدينة الرى من قبل الحسن لمدة ثلاث سنوات (٢٨).

إن تعاظم نفوذ الحسن بن زيد باستيلائه على المدن الفارسية قد سبب انزعاجا للسلطة العباسية ، فأخذت تفكر فى اقتلاعه والتخلص منه، ففى سنة (٢٥٨هـ / ٨٧١م) توجه إليه موسى بن بغا على رأس قوة عسكرية وتمكن من طرده من بعض المدن التى كان يسيطر

عليها[٢٩]. وفى سنة (٢٥٩هـ / ٨٧١م) أرسلت الخلافة العباسية يعقوب بن ليث الصفار الذى تمكن من احتلال مدينة طبرستان ومدينة الرى، فانهزم على أثرها الحسن بن زيد ، وقد عين يعقوب على الرى شخصاً يدعى (الصلانى) [٣٠].

وقد أجرى الخليفة العباسى المعتمد تقسيمات إدارية فى الدولة الإسلامية فى سنة (٢٦١هـ/ ٨٧٤م) بين ابنيه : جعفر ولى عهده الملقب بالمفوض إلى الله، فقد ولاه على الأجزاء الغربية من الخلافة ، وبين ابنه الثانى أبى أحمد ولقبه الناصر لدين الله وولاه مشرق الدولة الإسلامية، ومن ضمن ولاياتها مدينة الرى[٣١].

ويبدو أن حركات الحسن بن زيد لم تتوقف ، فقد قام بمحاولات لإعادة نفوذه ، ففى سنة (٢٦١هـ / ٨٧٥م) استطاع استرجاع مدينة طبرستان من أصحاب يعقوب بن ليث الصفار[٣٢]. إلا أن مدينة الرى كانت تحت النفوذ العباسى وأميرها (الصلانى) الذى توفى سنة (٢٦٢هـ/ ٨٧٥م) وعين مكانه شخصا يدعى (كيغلغ) [٣٣]. ثم عزل عنها وعين مكانه (خطا لحجور) . وفى عهد الخليفة المعتمد تغلب (إساتكين) على الشرطة ، وهو أحد القادة فى مدينة سجستان ، ولما قوى نفوذه توجه إلى الرى واحتلها فى سنة (٢٦٦هـ / ٨٧٩م) وطرد عنها عاملها (خطا لحجور) [٣٤].

وقد توفى الحسن بن زيد العلوى المتولى على طبرستان فى سنة (٢٧٣هـ / ٨٨٣م)، وخلفه أخوة محمد بن زيد على السلطة ، وقدجرت بينه وبين (إتكوتكين) ؛ أو (إرلزيكيس) كما يسميه ابن كثير فى البداية والنهاية، وهو المتولى على قزوين، جرت بينهما منافسة فى السيطرة على مدينة الرى، ودار بينهما قتال عنيف فى سنة (٢٧٢هـ / ٨٧٥م) تغلب فيه (اتكوتكين) واحتل مدينة الرى، وثبت نفوذه على سائر المدن المجاورة ووزع عليها عماله [٣٥]. وأخذ من أهل مدينة الرى مائة ألف دينار غرامة، ربما لموقفهم العدائى منه أثناء نزاعه مع محمد بن زيد [٣٦].

وفى ذات الوقت كانت لرافع بن الليث الصفار تحركات فى المنطقة، فقد قوى نفوذه، فوضع يده على بعض القرى الهامة التابعة لمدينة الرى رغم احتجاجات الخليفة العباسى المعتضد، وهو أبو العباس أحمد بن طلحة [٣٧]، ولم نر (لأتكوتكين) أى نشاط إزاء هذه الاعتداءات، فكتب الخليفة إلى أحمد بن عبد العزيز بن أبى دلف فى سنة (٢٧٩هـ / ٨٩٢م) فى إخراج رافع من المدينة، وقد جرت بين الطرفين حروب لأيام عديدة أسفرت عن هزيمة رافع وطرده من البلاد[٣٨].

أما محمد بن زيد العلوى المتولى على طبرستان ، فقد أصبحت له قوة كبيرة فى سنة (٢٨١هـ / ٨٩١م) ، فقد قام بمحاولات لإعادة نفوذه على مدينة الرى، هذه الأوضاع دفعت الخليفة المعتضد إلى الذهاب بنفسه إلى تلك المناطق وزيارة بلاد الجبل، التى تتبع من الناحية الإدارية مدينة الرى (٣٩).

وقد أجرى بعض التقسيمات الإدارية فى الدولة الإسلامية، كما صنع بعض أسلافه من خلفاء الدولة العباسية، فقد كان الغرض منها يرتبط بهدفين الأول: سياسى وهو المحافظة على النفوذ العباسى فى تلك المناطق النائية عن مقر الخلافة، والثانى: أراد الخليفة أن يتحاشى حدوث النزاع بين أبنائه بعد وفاته، ففى سنة (٢٨١هـ) ولىّ ابنه الأمير على الملقب بالمكتفى على مدينة الرى وقزوين وزنجان وأبهر وقم وهمذان ونهاوند والكرج(٤٠) ، وقد أناب المكتفى عنه على الكرج ونهاوند أحمد بن عبد العزيز (٤١)، ولم يمكث الأمير علىّ طويلا فى بلاد المشرق، فقد بعث والده المعتضد وزيره عبدالله بن سليمان فى سنة (٢٨٢هـ / ٨٩٢م) يستدعى الأمير علىّ (٤٢). ولم تكن علاقة المعتضد طيبة بالأمراء الصفاريين، فقد كان غاضبا على الأمير عمرو بن الليث الصفار إلا أنه عفى عنه فى سنة (٢٨٤هـ / ٨٩٧م) وأسند إليه ولاية الرى، وبعث إليه بالخلع والهدايا(٤٣).

وبعد موت المعتضد تولى ابنه المكتفى بالله، وهو على بن أحمد الخلافة ، فعين (إغرتمش) التركى عاملا على الرى، ولكن هذا كان حاكما ظالما، فقد ساد الظلم فى عهده فأراد أهل مدينة الرى التخلص منه، فاجتمع كبراؤها وأعيانها وقرروا استدعاء محمد بن هارون؛ وكان من قواد رافع بن هرثمة، وقد اكتسب هذا القائد شهرة كبيرة لاسيما بعد قضائه على محمد ابن زيد العلوى أمير طبرستان ، وقد جاء محمد بن هارون إلى مدينة الرى بعد مكاتبات سرية جرت بينه وبين البارزين من أهلها، واستطاع التغلب على (إغرتمش) ، وقد أسفرت هذه المعركة عن قتل (إغرتمش) وقتل ابنيه وأخيه (كيغلغ) واحتل ابن هارون المدينة ، إلا أن الخليفة تدارك الموقف بسرعة، فبعث مولاه (خاقان المفلحى) فى سنة (٢٨٩هـ / ٩٠١م) على رأس قوة عسكرية كبيرة لكنها لم تصل إلى مدينة الرى ولم نعرف الظروف التى حلت بها ، فبعث الخليفة المكتفى بالله إلى اسماعيل بن على وهو المتولى على بلاد ما وراء النهر، فأسند إليه إضافة إلى عمله الولاية على الرى ومحاربة محمد بن هارون، فتوجه إسماعيل إلى الرى وتمكن بعد معارك من هزيمة محمد بن هارون وأحكم سيطرته على الرى ، فهرب محمد بن هارون إلى

بلاد الديلم ، فبعث وراءه وتم اعتقاله وسجن فى مدينة بخارى ومات فى سجنه سنة (٢٩٠هـ / ٩٠٢م) (٤٤).

ولما تولى المقتدر بالله، وهو جعفر بن أحمد الخلافة أسند إلى ابنه الأمير علىّ فى سنة (٣٠١هـ / ٩١٣م) ولاية المشرق، وهى تضم : الرى ودنباوند وقزوين وزنجان وأبهر وأذربيجان(٤٥).

فى الحقيقة فإن الضعف الذى أصاب الخلافة العباسية فى مدينة بغداد زمن الخليفة المقتدر، من جراء الاضطرابات الداخلية، قد ألقى بظلاله على الولايات الإسلامية سياسيا واقتصاديا ، لاسيما الولايات الشرقية، فقد ضعف ولاؤها للخلافة ، وبعضها استقل بولايته ولم يعد يدفع الخراج للخلافة العباسية ببغداد، كما صنع أحمد بن على صعلوك، الذى أصبح عاملا على الرى بأمر من الأمير الخراسانى نصر بن أحمد بن إسماعيل السامانى دون علم الخليفة المقتدر(٤٦). وفى سنة (٣٠٤هـ / ٩١٦م) قام يوسف بن أبى الساج المتولى على أرمينية وأذربيجان ، بهجوم على مدينة الرى ، فهرب عاملها أحمد بن على صعلوك إلى نواحى خراسان فاحتل ابن أبى الساج المدينة، مدعيا أن ما قام به كان بأمر من الوزير على بن عيسى، وزير المقتدر، ولكن بعد التحقيق تبين كذب وزيف يوسف بن أبى الساج، فبعث الخليفة إليه جيشا ولكن أبى الساج تمكن من دحر هذا الجيش، وأسر البارزين من قواده وطيف بهم فى شوارع مدينة الرى ، فبعث الخليفة جيشا اخر بقيادة مؤنس، فاضطر يوسف بن أبى الساج إلى التسليم وطلب العفو والمصالحة ، حين عرض على القائد مؤنس بأن يستمر فى ولايته على الرى مقابل أموال يدفعها لبيت المال فى كل سنة مقدارها سبعمائة ألف دينار(٤٧)، ولكن الخليفة المقتدر رفض هذا العرض بشدة قائلا: (لو بذل ملء الأرض لما أقره على الرى يوما واحدا لإقدامه على التزوير) (٤٨). هذه العبارات تنم عن مدى غضب الخليفة من تصرفات يوسف بن أبى الساج، ورفضه القاطع على تعيينه عاملا على الرى.

فلما يئس يوسف بن أبى الساج من الولاية ترك مدينة الرى، ولكنه قبل أن يتركها أمر بجباية أهلها لسنة كاملة وهى سنة ٣٠٤هـ وكان ذلك فى غضون أيام قلائل لاتتجاوز العشرة، هذا فضلاً عن الدمار الذى لحق بالمدينة عند تركه إياها، وقد صدرت أوامر الخليفة بتقليد (وصيفا البكتمرى) أمر الولاية على قزوين ومدينة الرى، إلا أن الحروب لم تتوقف بين مؤنس ويوسف بن أبى الساج ، وقد انتهت بأسر ابن أبى الساج وإحضاره إلى بغداد(٤٩).

هذه الحروب قد تسببت فى إتلاف خزينة الدولة إلى حد الإفلاس، فقد كلفتها الكثير من الأموال، وقد تسببت حتى فى إرباك الجهاز الإدارى داخل بغداد، فمن نتائجها عزل الوزير علىّ بن الفـرات فى سنة (٣٠٦هـ / ٩١٨م) (٥٠)، ويشرح لنا ابن مسكويه صاحب كتاب تجارب الأمم أسباب العزل، ويقول : إن السبب الرئيسى فى عزل الوزير ابن الفرات ، هو تأخره عن دفع رواتب جماعات من الفرسان ، لعدم توفر الأموال بسبب ما قام به يوسف بن أبى الساج من مصادرته لمال الخراج الخاص بمدينة الرى، وحال دون وصوله إلى بغداد ، مما أدى إلى تمرد الفرسان، ومن ثم عزل الوزير ابن الفرات ، فالعامل الاقتصادى إذا كان وراء العزل(٥١).

إمارة أحمد ومحمد ابنى صعلوك على الرى :

إن أحمد بن على صعلوك ، الهارب إلى نواحى خراسان قد استفاد من هذه الأوضاع ، كما استغل فرصة غياب الجيش العباسى عن الساحة وعن الرى فتحرك بجيشه من مدينة قم متوجها نحو الرى فغزاها واحتلها إلا أن استنكارات الخليفة العباسى أرغمته على الخروج من المدينة، ولكنه ما لبث أن عاد مرة أخرى واحتلها وأحكم سيطرته عليها، رغم اعتراضات الخليفة، فاضطر الخليفة إلى إرسال جيش، إلا أن أحمد تمكن من دحر هذا الجيش، وقتل قادته، ثم بعث يطلب من الخليفة أن يقره على الرى مقابل أموال يدفعها فى كل سنة إلى بيت المال، وكان مقدارها مائة وستين ألف دينار ، فقبل الخليفة هذا العرض مضطرا، ولم تكن هذه الأموال عن الرى وحدها، بل تشمل أيضا مدينة قزوين وزنجان ودنباوند وأبهر ، وهذا دليل على أن الخلافة العباسية تمر فى ظروف اقتصادية وسياسية صعبة لقبولها مثل هذا العرض(٥٢) .

واستمر أحمد بن على صعلوك يدفع فى كل سنة الأموال المقررة عليه، ففى سنة (٣٠٨هـ / ٩٢٠م) بعث أخاه إلى بغداد حاملاً الأموال والهدايا والتحف إلى الخليفة المقتدر، ليجدد له الولاء بالعهد (٥٣).

أما يوسف بن أبى الساج ، فإنه مكث فى السجن حتى سنة (٣١٠هـ / ٩٢٢م) ثم بعد ذلك عفا عنه الخليفة بعد أن توسط له مؤنس، فأطلق سراحه ، وأمر بمكافأته وعقد له على الرى وقزوين وأبهر وزنجان وأذربيجان ، وقرر عليه أن يدفع كل عام لبيت المال مبلغ خمسمائة ألف دينار ، ويضاف إلى ذلك دفع رواتب الجند بهذه المدن ، فوافق يوسف بن أبى الساج على ذلك(٥٤). وقد أبرم الخليفة هذه الاتفاقية مع ابن أبى الساج بعد أن قام أحمد بن على صعلوك

بنقض ما كان معقوداً بينه وبين الخليفة من اتفاق ، فذهب يوسف بن أبى الساج فى سنة (٣١١هـ/ ٩٢٣م) إلى الرى ودخلها عنوه [٥٥]، وقد قتل أحمد بن على صعلوك أثناء هذا النزاع، وبعث برأسه إلى الخليفة المقتدر ببغداد، وتوجه ابن أبى الساج من الرى إلى همذان، بعد أن خلف على الرى غلامة (مفلح) ولكن أهل الرى ثاروا عليه وعزلوه ، فلحق بابن أبى الساج، وقد مضت سنتان، ولانعرف ما إذا كان أهل الرى قد عينوا عليهم حاكما خلال هذه المدة، ولكن كل ما نعرفه أن ابن أبى الساج عاد إلى مدينة الرى فى جمادى الآخرة سنة (٣١٣هـ / ٩٢٥م) واحتل المدينة وعين عليها غلامه (فاتك) [٥٦].

السامانيون ومدينة الرى :

لقد أصبح يوسف بن أبى الساج يتولى نواحى المشرق بما فيها مدينة الرى، وقد طلب منه الخليفة المقتدر فى أواخر سنة (٣١٣هـ) التوجه إلى مدينة هجر بالبحرين لمحاربة أبى طاهر سليمان القرمطى [٥٧]، وعند مغادرة ابن أبى الساج كان (فاتك) يتولى أمر الرى، وقد أراد الخليفة المقتدر إبعاد (فاتك) عن مدينة الرى، فكتب المقتدر إلى السعيد نصر بن أحمد السامانى أمير خراسان فى مطلع سنة (٣١٤هـ / ٩٢٦م) بضم الرى إلى ولايته، مما يدل على عدم إخلاص (فاتك) للخلافة العباسية ، فلما وصل كتاب المقتدر إلى السعيد نصر، توجه فى الحال إلى مدينة الرى واحتلها ، فترك (فاتك) المدينة ودخلها السعيد نصر فى جمادى الآخرة من السنة المذكورة ، وأقام بها شهرين ثم تركها بعد أن ولى عليها (سيمجور الدوانى) ، ثم عزله وولى عليها محمد بن على صعلوك أخ أحمد صعلوك الأمير السابق لمدينة الرى، الذى قتل على يد يوسف بن أبى الساج. وهنا ملاحظة جديرة بالانتباه ؛ وهى : أن الأمير السعيد نصر يتمتع بصلاحيات إدارية واسعة حيث أنه يعزل ويعين الولاة على مدينة الرى دون الرجوع إلى الخليفة العباسى وهذا ربما يعطى مؤشرا على مدى ضعف نفوذ الخليفة العباسى فى تلك المناطق. على أية حال استمر محمد بن على صعلوك أميرا على الرى حتى سنة (٣١٦هـ / ٩٢٨م) ، وقد مرض محمد ولما أحس بدنو أجله كاتب العلويين ليسلم إليهم الأمر بمدينة الرى، فبعث إلى الحسن بن القاسم الحسنى الداعى أمير الديلم وإلى قائده (ماكان بن كالى) ، فقدما المدينة واستلما السلطة فى سنة (٣١٧هـ / ٩٢٩م) ومات محمد بن على صعلوك بعد هذا التاريخ بقليل[٥٨].

وهذا يعنى أن محمد بن على صعلوك قد أخرج مدينة الرى من يد السامانيين الموالين للسلطة العباسية إلى العلويين أعدائهم التقليديين، وقد تولى الحسن بن القاسم الداعى السلطة

بالرى، وقد أظهر العدل والاستقامة فى حكمه للبلاد فأحبه الناس، إلا أن (أسفار بن شيرويه) المتولى على طبرستان من قبل السعيد نصر بن أحمد السامانى أمير خراسان ، لم يدعه يهنأ بحكم الرى، فقد جره إلى حروب انتهت بمصرعه، وقد كان للخيانة التى قام بها بعض المقربين دور بارز فى مقتل الحسن الداعى، واستولى على السلطة بمدينة الرى (أسفار بن شيرويه)، وامتد سلطانه على طبرستان وجرجان وزنجان وقزوين وأبهر وقم، وأمر بالدعاء فى هذه المدن لصاحب خراسان ، الأمير السعيد نصر السامانى(٥٩).

غير أن المسعودى عند حديثه عن هذا الموضوع، لايرى أن هناك تواطئا تم بين محمد بين على صعلوك وبين الحسن بن القاسم الحسنى الداعى ضد العباسيين لاحتلال مدينة الرى، وإنما يقول: إن الحسن بن القاسم الداعى أتى على رأس قوة عسكرية معظمها من الديالمة يقودها (ماكان بن كالى) الديلمى، فاحتل مدينة الرى وقزوين وزنجان وقم وأبهر، كان ذلك فى سنة (٣١٧هـ) ، ولما علم الخليفة المقتدر بالله بهذا الأمر، كتب إلى السعيد نصر بن أحمد السامانى المتولى على خراسان ، مؤنبًا على هذا الإهمال ويطالبه بالإسراع فى إخراج الحسن بن القاسم الداعى من مدينة الرى وسائر المدن الأخرى التى استولى عليها، ومما جاء فى خطابه إلى نصر السامانى قوله : (إنى ضَمَمْتُك المال والدم، فأهملت أمر الرعية ، وأضعفتها وأهملت البلد، حتى دَخَلَتْهُ المبيضة) ؛ يعنى بذلك الحسن الداعى وأتباعه (٦٠).

وقد قام (ماكان بن كالى) قائد الحسن الداعى بعد ذلك بمحاولات لإعادة نفوذ العلويين إلى الرى ، فقد استغل فرصة غياب (أسفار) عن الرى فانقض عليها، ولكن (أسفار) تمكن من إعادة نفوذه ، وعلى أثر ذلك هرب (ماكان) (٦١).

أسفار بن شيرويه يتمرد ويستقل بحكم الرى:

لقد حقق أسفار انتصارات على المتاوئين له ، وكان لايتورع من استعمال المكايد والحيل فى سبيل القضاء على أعدائه ، فكون له قوة عسكرية ضاربة فى المنطقة، فأصبح مرهوب الجانب، هذه القوة دفعته إلى الاستقلال عن التبعية التى تربطه بالسعيد نصر بن أحمد السامانى أمير خراسان فخرج عن طاعته ، ومن مظاهر طغيانه وغروره وتجبره ، أنه وضع تاجا على رأسه وعملوا له سريرا من ذهب ليجلس عليه ويمارس أعماله، وتمرد على الخليفة وأعلن الحرب عليه وعلى أمير خراسان نصر السامانى، فبعث الخليفة إليه جيشا بقيادة هارون بن غريب، وسلك هذا الجيش طريق قزوين ، وقد لقى هذا الجيش مساعدات طيبة من أهل قزوين لكراهيتهم (لأسفار) ، ولكن (أسفار) تمكن من دحر هذا الجيش(٦٢).

هذا التمرد الذى قام به (أسفار) قد أثار حفيظة الأمير السامانى السعيد نصر، فقام بغزو الرى، وكادت الحرب تقع بين الجانبين لولا توسط مطرف بن محمد الجرجاني وزير (أسفار) ، فقد أشار على (أسفار) الدخول فى طاعة أمير خراسان وبذل المال، فإن قبل وإلا فالحرب، فوافق (أسفار) على هذا الرأى ، أما أمير خراسان فقد تردد أول الأمر ثم قبل بعد ذلك ، وتم الصلح على هذه الشروط ، وقد جبى (أسفار) هذه الأموال من أهل مدينة الرى وأعمالها ، فقرر على كل إنسان ديناراً وحتى المسافرين عابرى الطريق لم يسلموا من هذه الضريبة، ، فقد جمع من الأموال ما زاد عن المقدار المطلوب، وقد استفاد من هذه الأموال فى تكوين الجيوش ، فزاد بذلك طغيانه وغروره ، وعمد إلى أهل قزوين الذين ساعدوا جيش الخليفة المقتدر وأراد أن ينتقم منهم ، فنكل بهم وقتل الكثير منهم حتى أنهم فروا من منازلهم إلى الصحراء ، وذكروا أنه لما سمع المؤذن يقول : الله أكبر أمر به فألقى من على المنارة إلى الأرض، فهذه الأعمال تشهد على طغيانه وكفره (٦٣).

مرداويج قائد أسفار يستولى على السلطة بالرى:

وقد ولدت هذه الفظائع التى اغترفها (أسفار) الحقد والكراهية لدى الناس، فأرادوا التخلص منه ومن أعوانه ، وقد انفجر ذلك على شكل ثورة قادها مرداويج ؛ أحد كبار القادة فى جيش (أسفار) بالاتفاق مع (ماكان بن كالى) الموجود فى طبرستان ، وقد أيد الجيش هذه الثورة مما ساعد على نجاحها ، وكان جل اعتماد (مرداويج) على الديالمة الذين ينتمى إليهم، فكانت أعدادهم كبيرة فى مدينة الرى، وقد انتهت هذه الثورة بمقتل (أسفار) ، وتسلم السلطة (مرداويج) ، وخضعت له جميع المدن التى كانت تحت نفوذ (أسفار) مثل قزوين وهمذان وقم وقاشان وغيرها، وقد بدأ (مرداويج) عهده بالعدل والإحسان إلى أهل مدينة الرى وأعمالها، ولكنه ما لبث أن انقلب فأحل الظلم والطغيان محل العدل والتواضع ، فمن هذه الأعمال السيئة التى قام بها ، مصادرته أموال بعض التجار، وسار على نهج (أسفار) فى الغرور والتكبر، فقد جلس على أسرة الذهب والفضة وكان يقول: أنا سليمان بن داود ، وعمد إلى التنكيل بأهل الرى ولم يتورع عن قتل النساء وحتى الصبيان والأطفال فى المهد، ووضع الحجّاب ، فابتعد عنه الناس خوفا من بطشه ، وحتى صديقه ورفيقه فى الثورة (ماكان بن كالى) لم يسلم من شره، فقد استولى على جرجان وطبرستان وطرد عنها (ماكان) (٦٤).

ومن الطبيعى أن يهتم (مرداويج) بالناحية العسكرية ، فقد كون له قوة عسكرية كبيرة. وبذل الأموال بسخاء على جنده ليضمن ولاءهم، فهذه الأموال التى تدخل خزائن (مرداويج)

كان مصدرها غنائم الحروب، من جراء ما كان يقوم به من غزو جيرانه، فقد هاجم همذان واحتلها وقتل الكثير من أهلها، ونهب أموالهم وسبى نساءهم وأحرق محلاتهم، ولم يتمكن جيش الخليفة المقتدر أن يصنع شيئا ، فأذعن له أهلها بالطاعة ، كما احتل بلاد الجبل ووصلت جيوشه إلى مدينة حلوان ، ومن جراء هذا الغزو تكدست الأموال فى خزائنه (٦٥). ونظير هذه الأموال لم نجد (لمرداويج) أى اهتمامات تذكر فى النواحى العمرانية التى يستفيد منها العامة والخاصة من أهل مدينة الرى، كذلك لم نجد له اهتماما بالنواحى الاقتصادية ؛ كالزراعة أو الصناعة أو التجارة، بل كان جل اهتمامه منصبًا على الناحية العسكرية.

ويلاحظ أن نفوذ (مرداويج) لم يكن قويا على المدن البعيدة عن مدينة الرى، لذلك كانت تنفصل عنه كلما سمحت الظروف بذلك، ففى سنة (٣٢١هـ / ٩٣٣م) قام (مرداويج) بغزو جرجان بهدف إعادتها إلى نفوذه، وكان ذلك بتحريض من وزيره مطرف بن محمد ، وكانت تحت نفوذ السعيد نصر بن أحمد السامانى، وقد اكتشف (مرداويج) فى اللحظة الأخيرة أن وزيره كان يتآمر عليه بتواطئه مع جماعة موالية لنصر السامانى، فاعتقله وأمر بقتله، ولما وجد أنه لاطاقة له بمحاربة السعيد نصر ، كما أنه فى ذات الوقت فى وضع لايمكنه من العودة، اضطر إلى طلب الصلح من السعيد نصر على أن يدفع مقدارًا من المال مقابل حماية مدينة الرى ودرء الخطر عنها (٦٦).

ومن الأعمال العسكرية التى قام بها (مرداويج)، احتلاله لمدينة إصفهان فى سنة (٣٢١هـ) ومنها توجه إلى مدينة الأهواز(٦٧) فى سنة (٣٢٢هـ / ٩٣٣م) حتى يقطع الطريق أمام عماد الدولة بن بويه (٦٨)، الذى كان ينوى الذهاب إلى الخليفة الراضى بالله، وهو محمد بن جعفر المقتدر ببغداد (٦٩)، ويذكر ابن مسكويه أن الخليفة بعث برسالة إلى (مرداويج) يطلب منه التخلى عن إصفهان مقابل الاعتراف له بالشرعية لولاية مدينة الرى وأعمالها والجبل، فأبدى (مرداويج) الموافقة على طلب الخليفة (٧٠). وفى ذات الوقت طلب الخليفة من قائده محمد بن ياقوت الموجود بمدينة واسط بأن لايدع (مرداويج) يحتل مدينة الأهواز ، فتوجه ياقوت نحو مدينة الأهواز، وهناك دار قتال بين الطرفين أسفر عن هزيمة (مرداويج) وقتله فى هذه المعركة(٧١)، وبهذه الخطة التى رسمها الخليفة الراضى يكون قد فوت الفرصة على (مرداويج) وتخلص منه نهائيا ، بينما يذكر ابن مسكويه أن الأتراك هم الذين قتلوا (مرداويج) وهو فى الحمام(٧٢).

ولابد لنا من الإشارة إلى الأضاع السياسية التى تقع خارج مدينة الرى، لأنها، أى مدينة الرى، تتأثر وتتفاعل سياسيا مع جيرانها وحتى مع المدن البعيدة عنها، فما يجرى فى مدينة الرى من أحداث ووقائع يتصل إتصالا وثيقا بالأجواء السياسية المحيطة بها .

ويعلق ابن طباطبا على الوضع السياسى القائم إبان هذه الفترة من خلافة الراضى فى سنة (٣٢٢هـ) حيث الإنقسامات والإنفصالات والاستقلالات بحكم الولايات عن الخلافة العباسية، فيقول : أن الخلافة قد ضعف أمرها، فخراسان بيد السامانيين وبلاد فارس يسيطر عليها بنو بويه، ومدينة الرى وإصفهان والجبل بيد الحسن بن بويه، والموصل وديار بكر وديار ربيعة بيد الحمدانيين (٧٣)، فكما هو واضح فإن السلطة قد انتزعت من يد الخليفة فى هذه المناطق التى أشرْنا إليها.

ويذكر ابن الأثير أنه بعد مقتل (مرداويج) استولى على السلطة بالرى أخوه (وشمكير بن زيـــار) (٧٤)، وقد كانت الحروب مع بنى بويه الذين أخذ نفوذهم يتنامى ويتعاظم فى الأجزاء الشرقية من الخلافة العباسية، ففى سنة (٣٢٧هـ / ٩٣٨م) قام (وشمكير) بغزو مدينة إصفهان ، وكان المتولى عليها أبو الحسن بن بويه، الملقب بركن الدولة ، فتمكن (وشمكير) من احتلال المدنية وطرد بنى بويه عنها (٧٥).

وفى أثناء النزاع الدائر ما بين (ماكان بن كالى) المتولى على جرجان وبين الأمير السعيد نصر بن أحمد السامانى أمير خراسان فى محرم سنة (٣٢٨هـ / ٩٣٩م)، كان (وشمكير) قد اتخذ موقفا أيد فيه (ماكان بن كالى) ، فقد أمده بالمساعدات العسكرية، ولكن القائد السامانى (أبا على محتاج) استطاع أن يحقق النصر على (ماكان بن كالى) ، فاحتل جرجان، فهرب (ماكان) إلى طبرستان (٧٦). كذلك تمكن ركن الدولة أبو على الحسن بن بويه من إعادة نفوذه على مدينة إصفهان فى سنة (٣٢٨هـ) ، وأخذ ركن الدولة يعمل على احتلال مدينة الرى وسائر أعمالها ، ووجد أنه لايتم له ذلك إلا بالتخلص من (وشمكير)، لذلك فإنه اتصل بأخيه عماد الدولة كى ينسق معه حتى يتم تحقق هذا الغرض (٧٧)، واتصل ركن الدولة بالقائد السامانى أبى على محتاج يحرضه على غزو الرى، وقد أظهر استعداده على مساعدته عسكريا، فركن الدولة يريد أن يحقق من وراء ذلك هدفين ، الأول : إضعاف (وشمكير) إذا ما دخل فى حرب مع أبى على محتاج . ثانيا : إذا ما تحقق النصر لأبى على محتاج واحتل الرى فهو لايشكل خطرا عليهم كما هو الحال مع (وشمكير) ، فضلا عن أن القائد محتاج كان حليفا لهم، وهو فى ذات الوقت أضعف من أن يدير السلطة بالرى وأعمالها، بالإضافة إلى ما بيده من ولاية خراسان وجرجان ، فهذا سوف يمكن ركن الدولة من تحقيق هدفه، وهو احتلال الرى(٧٨).

فأخذ ركن الدولة يحيك الخطة ويدبرها حتى أنه أقنع القائد أبا على محتاج، وربما كانت قناعة أبى على محتاج بدافع من الرغبه فى السيطرة على مدينة الرى ، فتوجه فى سنة (٣٢٩هـ / ٩٤٠م) نحو الرى، واستعد (وشمكير) للقائه وطلب من حليفه (ماكان بن كالى) الموجود بطبرستان المساعدة ، فلبى طلبه، ودارت بين الطرفين معركة عنيفة أسفرت عن انتصار أبى على محتاج ، وقتل (ماكان بن كالى) وهرب (وشمكير) من الرى، ودخل أبو على محتاج المدينة[٧٩] ، وبعد مضى سنتين من إحتلال الرى، عمد أبو على محتاج إلى المدن المجاورة، مثل همذان وقزوين وقم واحتلها، ووصل إلى مشارف مدينة حلوان[٨٠].

وقد مات الأمير السعيد نصر بن أحمد السامانى أمير خراسان، ففى سنة (٣٣١هـ / ٩٤٢م)، فرجع القائد أبو على محتاج إلى خراسان، فاغتنم (وشمكير) هذه الفرصة وانقض على الرى واحتلها، ولكن بنى بويه كانوا له بالمرصاد، وهما ركن الدولة وأخوه عماد الدولة ، اللذان كانا يخططان من قبل لإحتلال مدينة الرى، فلم يدعاه يهنأ طويلا باحتلالها ، ومما شجعهما على ذلك ما نمى إلى علمهما من ضعف قدراته العسكرية ، لذلك قاما بمباغتته واحتلال المدينة [٨١].

ولكن الأمير السامانى الجديد وهو نوح بن أحمد بن نصر ، الذى خلف أباه على الإمارة، قرر إعادة مدينة الرى من بنى بويه، لذلك فقد بعث قائده أبا على محتاج فى سنة (٣٣٣هـ / ٩٤٤م) على رأس قوة عسكرية من العساكر الخراسانية إلى مدينة الرى، وقد لجأ (وشمكير) إلى الأمير نوح السامانى، مستأمنا ، فأحسن إليه وبالغ فى إكرامه، أما أبو على محتاج فإنه خسر المعركة أمام بنى بويه، والسبب الرئيسى فى هزيمته خيانة أتباعه[٨٢].

وفى شهر صفر من سنة ٣٣٣هـ بعث الأمير نوح ب نصر السامانى جيشا بقيادة (وشمكير) إلى جرجان بقصد احتلالها ، وكان يتولاها الحسن بن فيزران، وقد احتلها [٨٣].

وفى ذات الوقت أعد الأمير نوح جيشا آخر بقيادة أبى على محتاج لغزو الرى، ولما علم ركن الدولة بكثافة أعداد جنوده القادمة ، ترك الرى فاستولى أبو على محتاج عليها وعلى منطقة الجبال فى شهر رمضان سنة ٣٣٣هـ [٨٤].

هذا الانتصار الذى حققه القائد أبو على محتاج، جعل المخاوف والشكوك تساور الأمير نوح السامانى من قائده ، فأراد أن يحد من سلطانه ، فجعل نفوذه مقتصرا على الرى ومنطقة الجبال فقط بعدما كان نفوذه يمتد إلى خراسان، وقد فطن القائد أبوعلى محتاج إلى نوايا

الأمير نوح ، ولم يكتف الأمير نوح بذلك، بل بعث بشخص إلى مدينة الرى وأعطاه صلاحيات واسعة فى ممارسة بعض الأعمال داخل مدنية الرى، والغرض من ذلك هو الحد من سلطات ونفوذ القائد أبى على محتاج، هذه الشخصية التى أرسلها الأمير نوح قد أساءت كثيرا إلى الجند فى تنفيذ معاملاتهم ومطالبهم وتوزيع أرزاقهم ، فتضايقوا منه واتفقوا على طرده من بلادهم، وقد أطلعوا القائد أبا على محتاج على ذلك، وطلبوا منه المساعدة ، ولكنه امتنع فهددوه بالقبض عليه فأجابهم إلى طلبهم(٨٥).

وهذا العمل يعتبر فى حد ذاته تمردا على السلطة السامانية فى مدينة الرى، وكان لهذا التمرد أبعاد وصلت إلى مدنية خراسان ، فقد قام أهلها باقصاد أميرهم نوح عن السلطة وتعيين عمه إبراهيم بن أحمد بن إسماعيل ، ولكن فوجئ أهل خراسان أن أميرهم إبراهيم لاتتوفر فيه الكفاءة والمقدرة للحكم، وعجز عن إدارة الأمور، وقد أحس الأمير بذلك، فاتفق سرا مع جماعة على خلع نفسه عن الإمارة، هذه الأجواء المضطربة كانت فرصة أمام نوح بن نصر للعودة إلى الإمارة، وقد نجح بالفعل وأعاد نفسه إلى السلطة(٨٦).

وبعد أن استقرت الأوضاع فى خراسان أراد الأمير نوح أن يقتص من قائده الخائن ، أبى على محتاج ، الذى تسبب فى حدوث الاضطرابات فى مدينة الرى، فبعث إليه العساكر لقتاله، فاستعد أبو على محتاج للقتال ، ودارت بينهما معارك طويلة كان آخرها فى سنة (٣٣٧هـ / ٩٤٨م)، هذه الحروب ذكرها ابن الأثير، الذى يقول : إنه اعتمد على المصادر الفارسية فى نقل هذه الوقائع ولكن دون أن يشير إلى أسماء هذه المصادر(٨٧).

البويهيون يسيطرون على الرى وسائر أعمالها :

لقد استغل ركن الدولة بن بويه هذه الحروب الدائرة بين أبى على محتاج وبين الأمير نوح ابن نصر السامانى، وكان لركن الدولة من القوة ما مكنه من إحتلال مدينة الرى وسائر أعمالها، مثل منطقة الجبل وبلاد فارس والأهواز، وأزال عنها النفوذ الخراسانى ، فأصبح بنو بويه يشكلون قوة عسكرية كبيرة فى مدينة الرى وفى باقى المدن(٨٨). فمدينة الرى التى أصبحت وهى فى ظل حكم أبى على بن بويه مناوئة للأمير نوح بن نصر السامانى أمير خراسان وما وراء النهر، فحل العداء بين الجانبين، فقد كان ركن الدولة يؤيد الحركات المناوئة للأمير نوح ويساعدها بقصد إضعافه ، من ذلك أنه فى شهر رجب سنة (٣٣٦هـ / ٩٤٧م) أيد

حركة محمد بن عبد الرزاق، وهو من المعارضين للأمير نوح، وأمده بالأموال، وكان محمد قبل خروجه على الأمير نوح يتولى أعمال مدينة طوس وتوابعها؛ وطوس تقع فى الشمال الشرقى من إيران(٨٩).

وأخذ ركن الدولة يعمل على تعزيز نفوذه بمدينة الرى وأعمالها ، فأسس له قوة عسكرية كبيرة كان الغرض منها المحافظة على حدوده، أو التوسع على حساب جيرانه كلما سمحت الفرصة بذلك . ففى ربيع الأول سنة (٣٣٦هـ) اتفق مع الحسن بن فيزران، الذى كان أميرا على جرجان لاحتلال مدينة طبرستان ، وكان يتولاها (وشمكير) أمير الرى السابق، فاحتلها وهرب (وشمكير) إلى خراسان طالبا المساعدة لإعادة نفوذه، وقد واصل ركن الدولة غزواته فاحتل مدينة جرجان أيضا(٩٠).

هذه الانتصارات الناجحة التى حققها ركن الدولة قد أثارت حفيظة السامانيين حكام خراسان وما وراء النهر، فأخذوا يعملون للحد من قوته ، فقد بعث الأمير نوح السامانى قائده وصاحب جيوشه ، منصور بن قرتكين على رأس قوه عسكرية كبيرة يصحبه (وشمكير) ، فاستعد ركن الدولة للقاهم، فطلب المساعدة من أخيه معز الدولة، الذى كان حاكما على بغداد خلال هذه الفترة، وكانت علاقته بأخيه طيبة وثيقة يسودها الاحترام، إلا أن معز الدولة كان مشغولا فى حربه مع ناصر الدولة حاكم الموصل، فأضطر إلى طلب المصالحة مع ناصر الدولة حتى يتسنى له إرسال المساعدات إلى أخيه ركن الدولة، فهيأ العساكر وبعثها إلى أخيه، ولكن لم يحدث قتال لأن الجيش الخراسانى المتجه صوب الرى، توقف عند مدينة جرجان ولم يذهب إلى الرى لوقوع خلافات بين القائد منصور بن فراتكين وبين الأمير نوح بن نصر السامانى ، وذكروا أن أسباب هذه الخلافات تتصل بقضايا أسريه ، هذه الأوضاع دفعت القائد منصور إلى مصالحة الحسن بن فيزران أمير جرجان السابق وسلمه المدينة(٩١).

وفى الحقيقة فإن تحرك العساكر الخراسانية لغزو مدينة الرى قد شجع أمراء آخرين القيام بغزوها، من ذلك ما قام به المرزبان محمد بن مسافر حاكم أذربيجان فقد قرر غزوها، لاسيما وأن هناك دوافع أخرى قد شجعته على ذلك منها : أولا- العداء الذى كان بينه وبين معز الدولة أخى ركن الدولة ، فقد أهان معز الدولة رسل المرزبان. ثانيا أن عددا من قوات ركن الدولة وأفراد جيشه المنشقين عليه لجأوا إلى المرزبان محمد بن مسافر ، وقام هؤلاء القواد المنشقين بتحريض المرزبان محمد وسهلوا له عملية غزو الرى، وقالوا: بأن معظم قادة الجيش

بمدينة الرى يميلون إليه ؛ أى إلى المرزبان . ثالثا – أن حاكم الموصل ناصر الدولة قد بعث برسالة إلى المرزبان محمد يعده فيها بتقديم المساعدات العسكرية إن هو قام باحتلال الرى(٩٢).

هذه الأمور قد أكدت العزيمة فى نفس المرزبان محمد، على غزو مدينة الرى، ولكن يجب أن ننتبه إلى أن المساعدات العسكرية التى يريد ناصر الدولة تقديمها للمرزبان محمد لم تكن لوجه الله أو حبا فى المرزبان، وإنما هذه المساعدات تسيرها مصالح سياسية، فقد أراد ناصر الدولة إلهاء البويهيين فى هذه الحروب حتى يتيسر له تثبيت نفوذه على الموصل وباقى المناطق المجاورة ، وفى ذات الوقت فإن استمرارية هذه الحروب التى يخوضها البويهيون مع جيرانهم سوف تؤدى إلى إضعافهم.

إن المرزبان محمد قد أعد نفسه عسكريا وعزم على الذهاب لغزو مدينة الرى، وقبل خروجه أحضر والده وأخاه المدعو (هسوذان) ، يستشيرهما فى أمر الغزو، فمنعه والده عن الخروج، ولكن الابن أصر على الذهاب، فودعه الأب وبكى وقال فى توديعه : (يا بنى أين أطلبك بعد يومى هذا ؟ قال : إما فى دار الإمارة بالرى وإما بين القتلى) (٩٣).

وعند وصول جيش المرزبان إلى مشارف مدينة الرى لم يكن ركن الدولة فى وضع يمكنه من منازلة المرزبان ، فلجأ إلى الحيلة ريثما يأتيه المدد من أخويه عماد الدولة المتولى على فارس ومعز الدولة المتولى على بغداد، فقد كان ركن الدولة قد طلب منهما المساعدة، لذلك فإنه أظهر للمرزبان التنازل عن بعض المدن، مثل : زنجان وأبهر وقزوين ، وقد انطلت هذه الحيلة على المرزبان ، ولكن ركن الدولة سرعان ما انقلب على المرزبان ونقض الاتفاق ساعة وصول الإمدادات العسكرية، وبادره بالقتال ، فانهزم جيش المرزبان ووقع أسيرا فى يد ركن الدولة(٩٤).

ومن الملاحظ أن بنى بويه الأخوة الثلاثة وهم: ركن الدولة ومعز الدولة وعماد الدولة، كانوا متعاونين متحابين مما ساعد على قهر أعداءهم ، ومما يدل على هذا التواد والتواصل بين هؤلاء الإخوة، أن معز الدولة قبل أن يرسل جيوشه إلى أخيه ركن الدولة بمدينة الرى، أخذ عهدا من الخليفة العباسى المطيع لله، وهو أبو القاسم الفضل بن جعفر، لأخيه ركن الدولة بأن يجعله أميرا على خراسان وتوابعها إذا ما تم له الانتصار على القوى المعارضة هناك، فوافق الخليفة على هذا الطلب (٩٥).

أما عماد الدولة المتولى على بلاد فارس ، وكان يقيم بشيراز (٩٦)، فإنه لما أحس بدنو أجله ولم يكن له وريث يرثه، بعث إلى أخيه ركن الدولة فى سنة (٣٣٨هـ / ٩٤٩م) يطلب منه أن يرسل إليه ابنه عضد الدولة ليتولى الأمر بشيراز، وقد تولى عضد الدولة الإمارة بشيراز بعد وفاة عمه (٩٧). وعلى هذا تكون أملاك ركن الدولة فى سنة ٣٣٨هـ تشمل مدينة الرى والجبال وإصفهان وهمذان يضاف إليها شيراز التى يتولاها ابنه عضد الدولة (٩٨).

وفى سنة (٣٣٩هـ / ٩٥٠م) اضطر ركن الدولة ترك مدينة الرى والذهاب إلى مدينة شيراز للقيام بتهدئة الوضع هناك ، وقد استغل الأمير الخراسانى نوح بن نصر فرصة غياب ركن الدولة عن الرى، خاصة وأن نائب ركن الدولة ، وهو على بن كامة كان ضعيفا ، فوصلت الجيوش الخراسانية بقيادة منصور بن قراتكين واحتل المدينة، فهرب على بن كامة إلى مدينة إصفهان ، فدخل القائد منصور المدينة، وقد كان أهل الرى يكرهون الخراسانية ، فأمر القائد منصور بتوزيع جنده فى جميع أرجاء المدينة لإحكام سيطرته، ثم عمد إلى بلاد الجبل وقرميسين فاحتلها وأجلى عنها نواب ركن الدولة، كما استولى على همذان (٩٨).

وقد طلب ركن الدولة وهو بشيراز المساعدة من أخيه معز الدولة ، وصلت على وجه السرعة العساكر المؤلفة من الديالمة والأتراك والعرب بقيادة (سبكتكين)، وخرجت هذه القوة من بغداد إلى المواقع التى يحتلها القائد الخراسانى منصور، وقد دارت بين الجانبين حروب طويلة تمكنت بعدها الجيوش البويهية من استرجاع بعض المدن، إلا أنها عجزت عن استرجاع مدينة الرى(٩٩).

وفى سنة (٣٤٠هـ / ٩٥١م) توفى القائد الخراسانى منصور بن قراتكين، وكان لموته أثر فى إضعاف القوى الدفاعية فى الجيش الخراسانى، وما رافق من ذلك حدوث اضطرابات فى صفوف الجيش، وقد أدى ذلك إلى انسحاب العساكر الخراسانية من مدينة الرى إلى مدينة نيسابور ، ولكى يحافظ الأمير الخراسانى نوح بن نصر على وجوده فى مدينة الرى ، أرسل على وجه السرعة القائد السابق أبا على محتاج للقيام بأعمال منصور بن قراتكين ، وأقطعه الرى وأمره بالإسراع والجد فى المسير (١٠٠)، ولكن ركن الدولة كان أسرع منه فسبقه فى الوصول إلى الرى، فأعاد نفوذه عليها وعلى معظم أعمالها، وفى سنة (٣٤١هـ / ٩٥٢م) انتقل ركن الدولة من الرى إلى مدينة نسا (١٠١)، وأقام فيها لفترة ، وعمل خلال وجوده على تثبيت نفوذه هناك ثم عاد إلى مدينة الرى، واستخلف على جرجان الحسن بن فيزران يساعده فى عمله، على بن كامة(١٠٢).

وكانت الدولة السامانية خلال هذه الفترة تخطط للإيقاع بالبويهيين ، وكانت تتربص بهم الدوائر ، محاولة بذلك القضاء على نفوذهم فى هذه الأقاليم، فلما عاد ركن الدولة إلى الرى توجه (وشمكير) إلى جرجان على رأس قوة عسكرية ، بأمر من الأمير نوح بن نصر السامانى أمير خراسان ، فاحتل جرجان وانهزم عنها الحسن بن فيزران [١٠٣]، وفى سنة (٣٤٢هـ/ ٩٥٣م) كتب (وشمكير) إلى الأمير نوح يطلب منه المساعدة لغزو الرى، فأمده بقوة عسكرية من الجيوش الخراسانية يقودها أبوعلى محتاج، وقد أدرك ركن الدولة فداحة هذه الجيوش، إلا أنه استعد للقائهم ، فخرج من المدينة إلى موضع يقال له طبرك ؛ وهو موقع حصين ، فالتقى بالجيوش الخراسانية ، واستطاع الصمود وقد طالت الحرب بينهما وحل فصل الشتاء فسئموا القتال واتفقوا على الصلح، وقد تبودلت بينهما الرسل فى هذا الصدد، وكان أبوجعفر الخازن العالم الرياضى والفلكى رسولا لركن الدولة، ومن نتائج هذا الصلح التزام ركن الدولة بدفع مائتى الف دينار فى كل عام للأمير نوح بن نصر السامانى، فانسحبت الجيوش وعاد أبو على محتاج إلى خراسان، ولكن (وشمكير) اتهم القائد أبا على محتاج بالتواطئ مع ركن الدولة ، وكتب إلى الأمير نوح بذلك، فأمر بعزل القائد أبا على عن قيادة الجيوش الخراسانية ، وتولاها أبوسعيد بكر بن مالك ، وبذلك أصبح (وشمكير) بمفرده يواجه جيوش ركن الدولة، فاضطر إلى الانسحاب إلى منطقة تسمى إسفراين فاحتل ركن الدولة مدينة طبرستان[١٠٤].

أما أبو على محتاج فإنه قدم اعتذاره إلى الأمير نوح وطلب الصفح عنه، ولكن الأمير نوح لم يقبل الاعتذار ، فأحس محتاج بالخطر يهدده لاسيما من أتباع الأمير نوح، فطلب اللجوء إلى الأمير ركن الدولة البويهى، فرحب ركن الدولة ولم يتردد فى قبول لجوئه [١٠٥]. وقد سعى الخليفة العباسى المطيع للتوسط فى الصلح بين ركن الدولة وبين الأمير نوح ، وقد أرسل وفدا لهذا الغرض ، ولما وصل الوفد عند مشارف مدينة حلوان تعرض لقطاع الطرق، وهم من الأكراد يتزعمهم ابن أبى الشوك ، فنهبوا أموالهم وأسروهم ، ثم أطلقوا سراحهم ، فبعث معز الدولة بعساكره وفتك بهؤلاء اللصوص، فأمن الطريق وزال خطرهم[١٠٦].

ويبدو أن وفد الوساطة لم يذهب إلى خراسان أو الرى، بدليل أنه فى سنة (٣٤٣ – ٩٥٤م) تم الاتفاق بين أبى على محتاج الموجود بالرى فى ضيافة ركن الدولة وبين الخليفة العباسى المطيع لله، على أن يقوم أبو على محتاج بمحاربة السامانيين، وإذا ما تحقق له النصر يكون أميرا على خراسان باسم الخلافة العباسية، فتوجه أبوعلى محتاج نحو خراسان واحتل نيسابور ، وأمر بالخطبة للخليفة المطيع ، ومن بعدها احتل خراسان [١٠٧].

وفى سنة (٣٤٣هـ) توفى الأمير نوح بن نصر السامانى وخلفه على الإمارة ابنه عبدالملك ابن نوح السامانى الذى كان بمدينة بخارى، وقد صمم الابن على إخراج ابن محتاج من خراسان ، فأعد الجيوش لهذا الغرض وجعل قيادتها بيد بكر بن مالك، فتوجه نحو خراسان، فانهزم ابن محتاج ولجأ إلى مدينة الرى عند ركن الدولة، ودخل القائد بكر بن مالك مدينة خراسان، وقد عمل ركن الدولة على تأمين حدوده مع خراسان خوفا من تحركات الأمير السامانى عبد الملك بن نوح ، لذلك فإنه غزا جرجان واحتلها دون حدوث قتال، وكان بها (وشمكير) فهرب إلى خراسان لاجئا(١٠٨).

وقد حدث ما كان يتوقعه ركن الدولة، ففى سنة (٣٤٤ هـ/ ٩٥٥م) تحركت العساكر الخراسانية نحو الرى لغزوها ، فأسرع وبعث إلى أخيه معز الدولة ليمده بالمساعدات ، فجاءت العساكر من بغداد يقودها الحاجب (سبكتين)، أما الجيوش الخراسانية فإنها تعرضت إلى النهب والسلب عند وصولها مشارف مدينة إصفهان التى كان يتولاها من قبل البويهيين أبومنصور بن ركن الدولة، وعمل ركن الدولة على تجنب الصدام العسكرى، فقد أرسل إلى بكر ابن مالك قائد الجيوش الخراسانية وأقنعه بعدم جدوى هذه الحروب ، فاستصوب رأيه واصطلحا على ما يلى: أولا- يتعهد ركن الدولة بدفع مبلغ من المال مقابل ولايته على الرى ومنطقة الجبل بأسرها. - ثانيا - يضمن ركن الدولة لبكر بن مالك قائد الجيوش الخراسانية بولاية خراسان، وهذا الشرط الأخير يعطى مؤشرا على أن لركن الدولة أطماع فى خراسان ، وقد وافق معز الدولة حاكم بغداد على ذلك ، وبهذه الطريقة تمكن ركن الدولة من أن يصرف عنه القتال، وعمل فى ذات الوقت على إفساد العلاقة بين القائد بكر بن مالك وأمير خراسان عبد الملك بن نوح السامانى(١٠٩).

وقد تعرضت مدينة الرى وسائر أعمالها فى سنة (٣٤٤هـ) إلى وباء عظيم مما أدى إلى انتشار الأمراض والأوبئة فماتت من جراء ذلك أعداد كبيرة من الناس، وكان القائد أبو على محتاج ضمن ضحايا هذا الوباء (١١٠)، كذلك فى سنة (٣٤٦ / ٩٥٧م) ضرب مدينة الرى زلزال عنيف مات على أثره ناس كثير، فلا يستبعد أن لهذه الأوبئة والزلازل آثارها السلبية على الحياة السياسية والاجتماعية فى مدينة الرى(١١١)

وقد أشرنا من قبل أن أبناء بنو بويه، وهم : ركن الدولة المتولى على الرى وأعمالها، وعماد الدولة المتولى على فارس، ومعز الدولة حاكم بغداد، كانت تربطهم علاقة قوية من المودة والمحبة

والاحترام ، فجميعهم كان يسمع ويطيع لعماد الدولة، وهو الأخ الأكبر، ولما مات انتقلت هذه الخصوصية إلى ركن الدولة، حاكم مدينة الرى، فكانت سلطاته تمتد حتى خارج نطاق حدوده الجغرافية ، لاسيما فى النواحى الروحية والمعنوية ، فكان رجال الدين يخطبون له فى مكة المكرمة والمدينة المنورة، يدعون له أولا ثم لأخيه الأصغر معز الدولة (١١٢)، هذا النفوذ السياسى العريض الذى حظى به بنى بويه كان على حساب نفوذ السلطة العباسية الضعيفة المتهالكة زمن الخليفة الراضى والخلفاء الذين أعقبوه (١١٣).

وفى سنة (٣٤٨ / ٩٥٩م) تمت المصاهرة بين أبناء ركن الدولة وأبناء معز الدولة، فقد ذهب مؤيد الدولة بن ركن الدولة إلى بغداد ليتزوج من ابنة عمه معز الدولة ، ثم يعود بها إلى مدينة الـــرى(١١٤) . وفيما يتعلق بآل سامان فقد توفى الأمير السامانى عبد الملك بن نوح أمير خراسان فى سنة (٣٥٠ / ٩٦١م) وتولى بعده أخوه منصور بن نوح (١١٥).

وقد كان ركن الدولة دائم اليقظة والحرص فى المحافظة على حدوده ، ففى سنة (٣٥١ / ٩٦٢م) قام بغزو طبرستان ليزيد فى تحصيناته ، وكان يتولاها (وشمكير) ، فرحل عنها إلى جرجان قبل مجيئ ركن الدولة ثم غزا جرجان واحتلها ، وانضمت إليه أعداد كبيرة من جيش (وشمكير) ، بلغ عددها نحو ثلاثة آلاف، وقد أدى ذلك إلى إضعاف قوة (وشمكير) ، وتعاظم قوة ركن الدولة ، فترك (وشمكير) جرجان وذهب إلى منطقة الجبل وتحصن بها ، وكان إلى جانب اهتمام ركن الدولة فى النواحى السياسية والعسكرية، فإنه فى ذات الوقت لم يهمل النواحى الحضارية والعمرانية ، فقد قام بالعمل على تحسين الحياة الاقتصادية بمدينة الرى وفى سائر أعمالها(١١٦).

وكانت الدولة السامانية التى تسيطر على خراسان تعمل جاهدة لاستعاد نفوذها على مدينة الرى ، فكانت على الدوام تستفز البويهيين ، إلا أن محاولاتها كانت دائما تبوء بالفشل بسبب يقظة ركن الدولة وذكائه ، ومن الأهداف الرئيسية التى تخطط لها الدولة السامانية هو الاحتفاظ بمدينة الرى ذات الموقع التجارى الهام وذات الخراج الكبير الذى يشكل موردا هاما تستفيد منه الدولة السامانية (١١٧)، هذا فضلا عن موقعها الهام المتميز فى الجوانب العسكرية والسياسية ، فهى المدخل الرئيسى إلى خراسان، فمن يمتلك مدينة الرى فإنه بإمكانه السيطرة على الممرات التجارية والعسكرية لاسيما مع خراسان (١١٨)، ففى رمضان سنة (٣٥٥ / ٩٦٥م) قامت الدولة السامانية بمحاولة لغزو مدينة الرى، فخرجت العساكر الخراسانية، وكان

عددها يربو على العشرين ألفا واتجهت صوب الرى، وقد أظهروا أنهم يريدون الجهاد فى سبيل الله ضد الروم ، ولكن وزير ركن الدولة ، أبا الفضل بن العميد حذر الأمير ركن الدولة بسوء نواياهم وعدم صدقهم وقد وصلت هذه الجيوش إلى مدينة الرى ، واجتمعوا بالوزير ابن العميد وطلبوا منه الأموال لينفقوها على الجنود المجاهدين، وخاطبوه بشدة وغلاظة ، فوعدهم بإعداد المال، وقالوا: نحن نريد خراج الرى بأكمله، فنحن غزاة أحق بالمال منكم، ودخل الجند المدينة واعتدوا على أهلها، كل ذلك باسم الدين والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وقد أثاروا الفتنة والفزع بين الناس، ولم يكفهم ذلك، بل عمدوا إلى دار الوزير ابن العميد ونهبوها ، ثم استعدوا لمحاربة الأمير ركن الدولة الذى لم يكن فى وضع يمكنه من القتال ، فلجأ إلى الحيلة معهم وقد نجح فى ذلك وفوت الفرصة عليهم وأبعدهم عن بلاده (١١٩).

وفى أواخر سنة (٣٥٦ هـ/ ٩٦٦م) وأوائل سنة (٣٥٧هـ/ ٩٦٧م) قام الأمير السامانى منصور بن نوح بمحاولة أخرى لغزو الرى، وكان ذلك بتحريض من أبى على بن الياس، وهو أحد الفارين من عضد الدولة بن ركن الدولة الذى كان يتولى كرمان من قبل أبيه، فقد لجأ مستأمنا عند الأمير السامانى منصور بن نوح، فأمنه ما دام عدوا لركن الدولة وابنه عضد الدولة ، وقد حبب إليه هذا غزو مدينة الرى، وأظهر للأمير منصور أن قادة الرى غير مخلصين لركن الدولة، يضاف إلى ذلك تفشى الرشاوى بين القادة، فوجد الأمير منصور بن نوح أن كلامه مطابقا لكلام (وشمكير) الذى كان يوافيه على الدوام بالتقارير عن الأوضاع بمدنية الرى وأعمالها، فشجعه ذلك على الغزو، فتحركت عساكره بقيادة أبى الحسن محمد بن إبراهيم بن سيمجور الدوائى قائد الجيوش، وطلب فى نفس الوقت من (وشمكير) ومن الحسن بن الفيزران أن يعدوا جيشا ويلحقوا بالجيوش الخراسانية، وقد فوجئ ركن الدولة بهذه الجموع المتجهة إليه، فخاف على أسرته فأجلاهم إلى إصفهان ، واستعد هو للحرب، فطلب من ابنه الموجود بكرمان أن يمده بالعساكر ، كما طلب من ابن أخيه بختيار بن معز الدولة حاكم بغداد المساعدة، وقد وصلت على الفور جيوش ابنه عضد الدولة، بينما عساكر بختيار تأخر وصولها . وكادت الحرب تقع بين الطرفين لولا موت (وشمكير) المفاجئ ، وما ترتب عليه من تمرد الجند فى صفوف العساكر الخراسانية ، هذه الأحداث كفت ركن الدولة شر القتال ، وخلف (وشمكير) على القيادة ابنه (بيستون)، واستطاع الأمير ركن الدولة البويهى بسياسته الرصينة استمالة القائد (بيستون) إلى جانبه واتفقا على الصلح، وقد أمده ركن الدولة بالمال والرجال، وفى هذا ما يدل على تحسن العلاقة بينهما (١١٩).

ولقد استغلت بعض العناصر المعارضة لركن الدولة حالة الحرب هذه ، فقامت بالتمرد والعصيان على السلطة المركزية بالرى، ففى طبرستان الخاضعة لنفوذ الرى خلال هذه الفترة، تزعم حركة التمرد فيها شخص يدعى، نوح بن نصر ، إلا أن موته المفاجئ أطفأ هذه الحركة ، وكذلك فى همذان قامت حركة تمرد قادها أحمد بن هارون الهمذانى، ومن غرائب الصدف أن مصيرها كمصير أختها حيث انتهت بموت قائدها، ولكن هذا الموت المفاجئ للقائدين وبنفس الطريقة ليثير الشك والريبة بأن موتهما كان مدبرا(١٢٠).

وعلى العموم فإن هذه الحروب التى خاضها ركن الدولة مع الأمراء السامانيين ، والتى كادت أن تكون مستمرة ، كانت لها آثارها السلبية السيئة لاسيما على النواحى الأمنية بمدينة الرى وأعمالها ، فقد نشطت حركة قطاع الطرق خلال هذه الحروب على يد شخص يدعى، حسنويه بن الحسين الكردى، فكان يتعرض لقوافل التجار وغيرهم من المسافرين بالنهب والسلب والقتل فى بعض الأحيان، فأصبح خطرا يهدد أمن الطريق، ولما سنحت الفرصة لركن الدولة، بعث وزيره الفضل بن العميد فى سنة (٣٥٩هـ/ ٩٦٩م) بالمسير إليه، ولكن الوزير مرض ومات بمدينة همذان، فخلفه ابنه أبو الفتح الذى قام بمصالحة حسنويه على مال يأخذه منه ثم عاد إلى الرى(١٢١).

إن المتتبع لسياسة ركن الدولة يلاحظ أنه كان حريصا على استمرارية السلطة فى البيت البويهى، وكان همه الوحيد أن يكون هذا البيت محتفظا بالسلطة، من ذلك أنه عارض ابنه عضد الدولة بشدة عندما أراد غزو بغداد والاستيلاء عليها والقبض على ابن عمه عز الدولة بختيار فى سنة (٣٦٤ هـ/ ٩٧٤م) فقد بعث إليه برسالة شديدة اللهجة يحذره فيها بما يترتب عليه من نتائج وخيمة ربما فيها ضياع ملك بنو بويه إذا ما استمرت هذه الأطماع بينهما(١٢٢).

كذلك لما أحس بدنو أجله جمع أولاده فى سنة (٣٦٦هـ/ ٩٧٦م) ووزع الأعمال الإدارية بينهم فى مملكته ليتحاشى حدوث الخلافات بينهم، فقلد ابنه فخر الدولة أبا الحسن همذان وأعمال الجبل، ومؤيد الدولة مدينة الرى وإصفهان وأعمالها، أما عضد الدولة الابن الأكبر، فكان نصيبه كرمان وسائر بلاد فارس . وأوصاهم بأن على الجميع أن يسمع ويطيع أوامر عضد الدولة، فهو الذى يخلفه فى السيادة على جميع هذه المدن (١٢٣). وفى هذه السنة التى نتحدث عنها مات الأمير السامانى منصور بن نوح وتولى الإمارة ابنه نوح (١٢٤).

ويبدو من سير الأحداث أن لعضد الدولة أطماعًا ومصالح سياسية كبيرة، فكان الأمل يحدوه فى السيطرة على العراق، التى كانت تحت نفوذ ابن عمه عز الدولة بختيار، فقد أرسل

جيوشه إلى العراق واحتل العاصمة بغداد فى سنة (٣٦٦ هـ/ ٩٧٦م) ، وطرد منها عز الدولة بختيار وأرغمه على التنازل عن الإمارة ، ولما اكتشف خيانة وزيره أبى الفتح بن العميد اتصل بأخيه مؤيد الدولة وكان أميرا على الرى وأمره بسمل عيون أبى الفتح وقطع أنفه، فكان أبو الفتح آخر وزراء أبناء بيت ابن العميد (١٢٥).

كذلك فإن عضد الدولة لم يلتزم بوصايا والده ركن الدولة ، فقد اعتدى على أخيه فخر الدولة واستولى على مملكته فى بلاد الجبل، لاتهامه بالتوطئ مع ابن عمه عز الدولة بختيار(١٢٦). بينما كانت علاقته بأخيه مؤيد الدولة المتولى على الرى وأعمالها طيبة، فقد كان مؤيد الدولة متعاونا مع أخيه عضد الدولة ومما يدل على هذا الوئام والتعاون أنه بعث إليه فى سنة (٣٧٠ هـ / ٩٨٠م) رسولا يجدد له الطاعة والولاء(١٢٧).

وقد حافظ مؤيد الدولة بن ركن الدولة على تطبيق العدل فى بلاده بمدينة الرى وأعمالها ، فقد اختار القاضى عبد الجبار بن أحمد الموصوف بالعدل ليكون قاضيا على مدينة الرى وقزوين وأبهر وزنجان وسهرورد (١٢٨)، وقم، وكان يسمى بقاضى القضاة (١٢٩)، وكان وزير مؤيد الدولة الصاحب بن عباد؛ وهو إسماعيل بن أبى الحسن بن عباد بن العباس الطالقانى، وهو الوزير الموصوف بالحكمة والفضل والعدل والأدب، فقد استقامت أمور مؤيد الدولة بمدينة الرى بفضل حكمة ودراية هذا الوزير، وقد سمى بالصاحب لطول صحبته لمؤيد الدولة حيث أنها كانت منذ الصبا(١٣٠).

وفى جمادى الآخرة لسنة (٣٧١هـ / ٩٨١م) استولى عضد الدولة على جرجان، وكانت تحت حكم (قابوس بن وشمكير) ، وحجته أن قابوس كان متعاونا مع أخيه فخر الدولة لرفضه تسليم أخيه ، فكان مؤيد الدولة على رأس الجيش الذى احتل جرجان (١٣١). ولكن الأمير السامانى نوح بن منصور بن نوح أمير خراسان لم يدع عضد الدولة وأخاه مؤيد الدولة يحتفظان بجرجان، فقد اتفق مع (قابوس بن وشمكير) ومع فخر الدولة على غزو جرجان ، فخرجت العساكر الخراسانية تحت قيادة حسام الدولة أبى العباس تاش نحو جرجان ، وهناك دار قتال عنيف بين الجانبين، أسفر عن انتصار أمير مدينة الرى مؤيد الدولة أخى عضد الدولة ، ولعل من أسباب هذا النصر خيانة القادة الخراسانيين لتواطئهم مع مؤيد الدولة (١٣٢).

وقد امتدت أطماع عضد الدولة الذى يتولى العراق وبلاد فارس إلى أملاك إخوته، فكثيرا ما كان يتدخل فى شئون فخر الدولة وحتى حميمه مؤيد الدولة أمير مدينة الرى، المتعاون معه

لم يسلم من أطماعه ، فكان يريد أن يجرده من سلطانه على مدينة الرى، إلا أن موت عضد الدولة فى شهر شوال سنة (٣٧٢هـ/ ٩٨٢م) وضع حدا لمثل هذه الاعتداءات ، وخلفه على السلطة فى العراق ابنه صمصام الدولة (١٣٣). وفى ذات السنة فى شهر شعبان توفى أخوه مؤيد الدولة أمير مدينة الرى وأعمالها ، ولم يكن له وريث ، فقد سأله وزيره الصاحب بن عباد قبل موته عمن يكون على مدينة الرى، فلم يفصح بشىء، وعند وفاته طلب الوزير الصاحب من فخر الدولة، وهو أخو مؤيد الدولة أن يأتى ليتسلم السلطة، وبذلك أصبح فخر الدولة أميرا على الرى وعلى جميع أعمالها . وكانت العلاقة بين فخر الدولة وبين ابن أخيه صمصام الدولة حاكم بغداد طيبة والتعاون بينهما كان وثيقا (١٣٤). ولكن هذه الحالة لم تستمر طويلا، فقد أخذ الخصام والنزاع طريقه بين أبناء عضد الدولة ، لاسيما بين صمصام الدولة حاكمُ بغداد وبين أخيه شرف الدولة المتولى على بلاد فارس وكرمان والأهواز ، وكان عمهم فخر الدولة المتولى على الرى وأعمالها يميل إلى جانب صمصام الدولة، وقد انتهى هذا النزاع بتغلب شرف الدولة وقام بالاستيلاء على بغداد وأبعد أخاه صمصام الدولة (١٣٥).

أما فخر الدولة فإنه ظل محتفظا بمدينة الرى وأعمالها، كما ظل محتفظا بالوزير الصاحب ابن عباد، الذى كان وزيرا لأخيه مؤيد الدولة من قبل، فقد بعثه فى سنة (٣٧٧ هـ/ ٩٨٧م) إلى مدينة طبرستان لتهدئة الوضع هناك، فتمكن الوزير من إعادة الهدوء والاستقرار إلى المدينة، كما عمل على تثبيت نفوذ فخر الدولة هناك، وجعل حدود المدينة آمنة باستيلائه على بعض الحصون المتاخمة (١٣٦)، وفى قزوين المدينة القريبة من الرى ، وهى من أعمالها ، حدث فيها تمرد ضد فخر الدولة، وقاد هذا التمرد عاملها أبومنصور بن كوريكنج ، وقد أنهى فخر الدولة هذا التمرد دون إراقة دماء، وعالجه بحكمة ، ونجح فى إعادة عاملها المتمرد أبومنصور إلى الطاعة والولاء (١٣٧). وفى مدينة الدامغان ؛ وهى من أعمال الرى أيضا، حدث تمرد قام به المتولى عليها نصر ابن الحسن بن الفيزران فى سنة (٣٧٨ هـ/ ٩٨٨م) ولكنه عاد إلى الطاعة والولاء بعد ما علم باستعدادات فخر الدولة لقتاله (١٣٨).

وقد قرر فخر الدولة فى سنة (٣٧٩ هـ/ ٩٨٩م) غزو العراق واحتلالها ، ولعل من الأسباب المشجعة التى دفعته إلى الغزو كما يذكرها ابن الأثير: أولا – رغبة الوزير الصاحب بن عباد السكنى فى بغداد، فإذا كان هذا السبب مقبولا ، فإنه يدل على مكانة الوزير عند الأمير فخر الدولة . ثانيا– أن الحاشية التى كانت تجالس فخر الدولة حببت إليه غزو العراق وملك بغداد

وسهلت له هذه العملية. ثالثا – موت شرف الدولة حاكم بغداد عجل فى تنفيذه هذه الخطة فكانت الفرصة مواتية إذا لهذا الغزو ، ولكن جيوش فخر الدولة هزمت عند مشارف مدينة الأهواز على يد بهاء الدولة الذى خلف شرف الدولة على حكم العراق، فعاد جيش فخر الدولة منكسرا إلى مدينة الرى، وقد أعقب ذلك تسرب أعداد كبيرة من جيشه بسبب تأخر رواتبهم(١٣٩).

وفى شهر محرم سنة (٣٨٥ هـ/ ٩٩٥م) توفى الوزير الصاحب أبو القاسم اسماعيل بن عباد، وقد حزن لموته حتى أهل بغداد (١٤٠)، وامتدح ابن الأثير هذا الوزير، لاسيما فيما يتعلق بمعرفته الواسعة بتحرير الرسائل ، وآرائه السديدة ، وبفضل علمه الواسع باللغة وآدابها ، وكانت له مؤلفات كثيرة ، فكانت مكتبته من الضخامة بمكان حيث أنها تضم أعدادا كبيرة من الكتب فى مختلف ميادين المعرفة، ويعلق ابن الأثير على ذلك بقوله : إنهم يحتاجون إلى أربعمائة جمل لنقلها ، وقد مات الصاحب بن عباد بمدينة الرى ، ونقل جثمانه إلى مدينة إصفهان ، ودفن هناك فى إحدى قراها عند باب درية(١٤١).

وقد كان الصاحب بن عباد مخلصا لفخر الدولة حتى فى آخر لحظات حياته، فهذه وصيته للأمير فخر الدولة وهو على فراش الموت تشهد على ذلك إذ يقول : (خدمتك أيها الأمير خدمة استفرغت قدر الوسع وسرتُ فى دولتك سيرة جلبتْ لك حُسن الذكر فإن أجريت الأمور بعدى على نظامها وقررت القواعد على أحكامها نسب ذلك الجميل السابق إليك ونُسيتُ أنا فى أثناء مايثنى به عليك ودامت الأحدوثة الطيبة لك . وإن غيرت ذلك وعدلت عنه كنت أنا المشكور على السيرة السالفة وكنت أنت المذكور بالطريقة الآنفة وقدح فى دولتك ما يشيع فى المستقبل عنك)(١٤٢).

عند استقرائنا لهذه الوصية نقف على نقطتين رئيسيتين : الأولى تبين مدى إخلاص وحرص الوزير الصاحب بن عباد على سلامة الدولة البويهية واستمراريتها، والثانية تتصل بشخص الأمير فخر الدولة، حيث تبين مدى إثارة ووفاء الوزير للأمير فخر الدولة ، فقد آثره على نفسه، وأراد ألا يتصدع هذا البناء القائم على العدل والاستقامة والاستقرار بعد رحيله ، بل أراد أن ينسب هذا الفضل كله إلى الأمير فخر الدولة لا إلى الصاحب بن عباد، إنها قمة الأمانة والإخلاص والوفاء .

ولكن لانعرف لماذا لم يحترم الأمير فخر الدولة هذا الإخلاص والوفاء ، فبعد وفاة الوزير أمر بمصادرة جميع أملاكه وأمواله ، ويقول ظهير الدين الروذراورى : (ونقل جميع ما كان فى

الدار والخزائن إلى دار فخر الدولة[١٤٣]، ويعلق ابن الأثير على هذه العلاقة بقوله : (قبح الله خدمة الملوك هذا فعلهم مع من نصح لهم فكيف مع غيره) [١٤٤].

وبعد رحيل الوزير الصاحب إلى جوار ربه، عثر فخر الدولة على كيس به رقاع لأقوام، أى مستندات كتب عليها مبالغ من المال، تصل إلى مائة وخمسين ألف دينار، هذه الأموال كانت مودعة له عند بعض الأعيان ، وكان بعضها عليها خاتم مؤيد الدولة، فاستدعاهم فخر الدولة وأمرهم بتسليم المال فأحضروه . وقد كان لهذه الحادثة آثارها السلبية على مكانة وأمانة الوزير الصاحب بين الناس فى مدينة الرى، فهناك من اتهمه ورماه بالخيانة، والبعض الآخر قد أحسن الظن به على اعتبار أن هذه الأموال بعضها أمانات مودعة عنده لأبناء مؤيد الدولة لوجود ختم الأمير عليها[١٤٥].

على كل حال فقد أصبح منصب الوزارة شاغرا الآن مما أقلق الأمير فخر الدولة ، خصوصا وإنه يريد الشروع فى مصادرة أتباع الصاحب بن عباد فهو يحتاج إلى مشورة الوزير، لذلك فإنه كلف أبا العباس أحمد بن إبراهيم الضبى، الملقب بالكافى الأوحد وهو المرشح للوزارة ، القيام بهذه المصادرة ، وكان المبلغ المراد مصادرته ثلاثين ألف ألف درهم ، فامتنع أبو العباس وتردد. وفى ذات الوقت وصل كتاب لفخر الدولة من أبى على بن حمولة يعرض نفسه للوزارة ويضمن عنها ثمانية آلاف ألف درهم، فأجاب فخر الدولة دون تردد ووافق على طلبه، وبذلك خسر أبو العباس منصب الوزارة ، وقد أنبه أتباعه لعدم امتثاله لأوامر فخر الدولة، عند ذلك أسرع أبو العباس وكتب لفخر الدولة بأنه مستعد لأن يدفع ستة آلاف ألف درهم مقابل إقراره على الوزارة [١٤٦].

فأخذ فخر الدولة يوازن بين هذين العرضين ، فوجد أنه لايستغنى عن الاثنين ، ومن الأصلح والأسلم أن يشركهما فى الوزارة ، وقرر على الاثنين عشرة آلاف ألف درهم يدفع كل واحد منهما نصف هذا المبلغ ، وأشركهما فى جميع أعمال الوزارة، وقسم العمل بينهما بالتساوى ، حتى التواقيع على المعاملات قسمت بينهما، وقد رضيا بذلك ، وباشرا أعمالهما، فأول عمل قاما به استمرارهما فى ملاحقة أتباع الوزير السابق الصاحب بن عباد والقبض عليهم ومصادرتهم ، فلم يفلت منهم أحد[١٤٧].

ومما يثير الانتباه والشك فى آن واحد وهو هذا الموقف المتشدد والمتصلب الذى اتخذه الأمير فخر الدولة من وزيره الوفى الصاحب بن عباد ومن أتباعه، من الاجتهاد فى المصادرة

وبلا هوادة ، ومما يدعو للتساؤل لماذا لم يصنع الأمير ذلك فى حياة الوزير الصاحب ؟ هل اكتشف خيانة وزيره بعد وفاته ؟ هذا مالانجده فى المصادر التى توصلنا إليها بما يؤيد ذلك.

وقد اعتاد الأمير فخر الدولة أن يشرك السيدة زوجته فى بعض القضايا من أعماله، وقد أكسبها ذلك بمرور الوقت خبرة ودراية فى القضايا السياسية، ثم أصبحت جميع الأمور السياسية تدار من قبل السيدة زوجة فخر الدولة. هذا الوضع قد أوهم بعض الأمراء بضعف الحياة السياسية بمدينة الرى، فدفعتهم أطماعهم إلى غزو مدينة الرى فى ظل حكم هذه المرأة، ولعل من أبرز هؤلاء الأمراء الطامعين، يمين الدولة أبى القاسم محمد بن سبكتكين أمير خراسان ، فبعث من عنده رسولا يهدد السيدة بالمسير إليها. فعمدت السيدة فى الحال إلى مستشارها الفذ المدعو بدر بن حسنويه، وكانت لاتحل ولاتعقد إلا بعد مشورته، تطلب منه الرأى فى هذا المأزق ، فأشار عليها بعمل مناورة عسكرية كبيرة عند مجيئ هذا الرسول ، ولما جاء الرسول شاهد بأم عينه هذه الكثافة من الجنود المحتشدة على هيئة صفوف ، فقد أرعبه ذلك وعاد إلى يمين الدولة مخبرا إياه بما شاهد فى مدينة الرى من قوة عسكرية ضخمة . فقد نجحت خطة بدر بن حسنويه، بما قام به من تدبير جعل يمين الدولة أمير خراسان يكف عن نواياه وغير من سياسته العدوانية تجاه مدينة الرى فعمد إلى الموادعة فى علاقته مع حكام مدينة الرى(١٤٨).

وقد مات فخر الدولة فى شهر رجب سنة (٣٨٧هـ/ ٩٩٧م) وخلفه على السلطة بمدينة الرى وأعمالها ابنه الصغير أبوطالب رستم الملقب بمجد الدولة (١٤٩)، فكان عمره يوم توليه لا يتجاوز الأربع سنوات ، وبالطبع كانت السيدة والدته هى الوصية عليه، وهى المشرفة على جميع الأمور والقضايا السياسية وإدارة الحكم ، يساعدها الوزيران أبو العباس الضبى وأبو على بن حمولة. وقد خلف فخر الدولة فى خزائنه أموالاً كثيرة من الجواهر وغيرها، ولمجد الدولة أخ صغير لقبوه بشمس الدولة، وأوكلوا إليه الولاية على همذان وقرميسين إلى حدود العراق(١٥٠).

هذه الأحداث التى تمر بها مدينة الرى قد شجعت بعض القوى الطامعة أن تتحرك من ذلك أن (قابوس بن وشمكير) طمع فى الاستيلاء على مدينة جرجان؛ وقد كان (قابوس) من المقربين من آل بويه زمن فخر الدولة، فقد كانت له خدمات ومواقف طيبة للأمير فخر الدولة فأراد الأمير مكافئته بأن يوليه على مدينة جرجان، وهى من أعمال مدينة الرى، ولكن الوزير الصاحب بن عباد، عدل به عن هذا الرأى . وقد جاءت الفرصة مواتية الآن أمام (قابوس)

فى ظل هذه الظروف السياسية التى تمر بها مدينة الرى، خصوصا وأن أهل جرجان وأعيانها كما يذكر ظهير الدين الروذراورى قد كاتبوا (قابوس) بعد موت فخر الدولة ، وكان بنيسابور يدعونه، فتوجه إليهم واحتل جرجان فى سنة (٣٨٨هـ / ٩٩٨م) (١٥١).

ولكن ماذا عن الوضع فى مدينة الرى؟ وما هى ردود فعل حكامها عند ضياع مدينة جرجان ؟ يبدو أن روح الخلافات هى السائدة ، فقد لجأت أم مجد الدولة كعادتها إلى مستشارها الخاص بدر بن حسنويه لتأخذ برأيه حيال هذه المشكلة ، ولكن تفاقُم الخلاف بين الوزيرين وأتباعهما أفسد هذه الخطة، خصوصا وأن الوزير أبى على بن حمولة قد استمال إليه الأتباع بما كان يدفعه إليهم من الأعطيات والأموال والهبات، فكون بذلك قاعدة عريضة من الأنصار، وأعد نفسه لقتال (قابوس بن وشمكير) ، حاملا معه خزائن وأموال مدينة الرى بحجة المحافظة عليها من (قابوس) فيما لو تعرضت المدينة للخطر ، وقد حبب إليه أتباعه غزو جرجان ومحاربة (قابوس) قائلين له: (إنك إذا حصلت بجرجان وملكتها كنت أميرا لا وزيرا وكانت الحاجة إليك داعيه والآمال بك متعلقة وبعدت عن الحضرة التى أنت فيها مجاذب على المنزلة)(١٥٢).

فخرج الوزير أبو على بن حمولة لقتال (قابوس) ، وقد انهزم الوزير ابن حمولة عند أول جولة من القتال ، وغنم (قابوس) خزائن وأموال مدينة الرى التى كانت مع الوزير ابن حمولة ، وعاد (قابوس) إلى مدينة جرجان وامتنع عن دفع الرسوم والضرائب التى كانت تدفعها جرجان لمدينة الرى، بعد هذه الهزيمة النكراء التى منى بها ابن حمولة الذى عاد إلى مدينة الرى منكسرا خائبا ، وقال عند وصوله : (قد خرجت نوبة وهذه نوبة أبى العباس الضبى) على اعتبار أن الأعمال مناصفة بين الوزيرين (١٥٣).

يفهم من هذه الأحداث أن ما قام به الوزير ابن حمولة هو نوع من التمرد والانشقاق والاستقلال عن السلطة بمدينة الرى، ومما يؤكد ذلك قول الأتباع لابن حمولة: إنه إذا ما ملكت جرجان تصبح أميرا، كذلك فإن هذه الأحداث تظهر مدى استخفاف أبى على بن حمولة بالجهاز الحاكم بمدينة الرى، فعند انكساره أمام (قابوس) فى هذه الحرب التى لم يأخذ إذنا من السلطة فى خوضها ، يقول : (قد خرجت نوبة وهذه نوبة أبى العباس) (١٥٤).

لذلك فإن السيدة قررت بعد مشورة بدر بن حسنويه إبعاد الوزير ابن حمولة عن الوزارة والقبض عليه، وقد آل الأمر بعد ذلك إلى قتله، وقد تحرك أتباع ابن حمولة وكادوا يقتلون

الوزير أبى العباس لولا الاتصالات التى أجراها الوزير بكبار قادة الجند الديالمة، ثم تدخل السلطة وقد أسفر ذلك عن الأفراج عنه ، يضاف إلى ذلك أن أتباع ابن حمولة مالوا إليه خاصة عندما علموا بمقتل وزيرهم ابن حمولة ، وهكذا أصبح أبا العباس الضبى الوزير الأوحد بمدينة الرى(١٥٥).

ويبدو من سياق الأحداث أن أطماع السلطان يمين الدولة محمود الغزنوى بمدينة الرى لم تتوقف ، وإنه كان يراقب مجريات الأحداث عن كثب ويتحين الفرص لاحتلالها ، من ذلك أنه فى سنة ٣٨٨ أو ٣٨٩هـ) بعث إلى السيدة والدة مجد الدولة يطلب منها أن تدفع له خراج مدينة الرى(١٥٦)، وهذا الخراج يشكل موردا كبيرا فقد خصص له ديوان عرف بديوان الخراج، ولهذا الديوان شأن كبير بمدينة الرى، حتى أن المسعودى كان يطلق عليه اسم دار الخراج(١٥٧).

ولما امتنعت السيدة بعث إليها السلطان محمود رسولا آخر يهددها ويقول : إنه سوف يرسل إليها ألفين من أفياله لتخريب مدينة الرى، ثم بعد ذلك يحمل ركامها إليه بمدينة غزنة . ولكن السيدة الوالدة أم مؤيد الدولة استقبلت رسول السلطان محمود بوافر التقدير والاحترام وحسن الضيافة ، ثم حملته رسالة ليوصلها إلى سيده السلطان محمود، وهذا نص الرسالة:

(لاشك أن السلطان محمود بطل من أبطال الإسلام . وهو من أقوى الأمراء والحكام ، وقد دانت له أكثر الأنحاء فى إيران وبلاد الهند، ولطالما خشيت سطوته منذ انتقل زوجى إلى جوار ربه وقد انزاح عن قلبى هذا الخوف الذى ملك نواصيه ، لأنى أجد أن السلطان محمودا من أكبر الملوك وأعزهم شرفا، ولن يقدم على محاربة امرأة عجوز مثلى، فأما إذا اختار الحرب والقتال فمن المؤكد أننى لن أتردد عن الطعن والنزال ، فإن وفقنى الله إلى التغلب عليه فسيذكر لى هذا الظفر إلى يوم الدين، وأما إذا فاز بالنصر على فسيتحدث المتحدثون فيقولون : إنه لم يفز إلا على امرأة عجوز ...! إنى ليأخذنى العجب كيف يتيسير له فى مثل هذه الحالة أن يعلن هذا الفوز ، وفى أى صورة يذيعه فى أنحاء ملكه العريض...؟ وقديما قالوا: : (كيف يمكن أن يكون رجلا من نقصت همته عن همة النساء...؟ وإنى لأعرف أن السلطان عاقل حازم، ولن يقدم على مثل هذا الأمر، ومن أجل ذلك فإنى أنعم على أريكة الهدوء والراحة، لايأخذنى شيئ من الخوف أو الشك فيما ستنتهى إليه عاقبة الأمور).

إنه حقا لخطاب سياسى وأدبى رائع استخدمت فيه السيدة أساليب عديدة، منها الأكبار والرفعة لشخص السلطان محمود، ثم أسلوب المراوغة والمناورة دون الإذلال لنفسها، وبهذا

الأسلوب استطاعت أن تفوت الفرصة على السلطان محمود فامتنع عن قتالها أو التعرض لشيئ من أملاكها ، وظل هذا الاحترام متبادلاً طيلة حياة السيدة والدة مجد الدولة(١٥٨).

وقد عملت مدينة الرى على تحسين علاقتها مع الخليفة العباسى القادر بالله، وهو أبو العباس أحمد بن إسحق ، لربما الظروف السياسية المضطربة المحيطة بمدينة الرى هى التى دفعت الرى لمثل هذا التقارب ، ففى سنة (٣٨٨هـ) بعث الأمير مجد الدولة رسولا من عنده إلى الخليفة، فاستقبله الخليفة استقبالا حسنا، وخلع على مجد الدولة بالخلع السلطانية، وعهد له على الرى وأعمالها وعقد له لواء. وأراد مجد الدولة من هذا التقارب ضمان صفة الشرعية فى حكمه للرى وأعمالها ، فهذه الشرعية ربما تحميه من الطامعين ، لاسيما (شمس المعالى قابوس) الذى أقلق راحة مجد الدولة (١٥٩).

وفيما يتعلق بأمر الوزارة فى مدينة الرى ، فقد كان الوزير أبو العباس أحمد الضبى قد عمل على استقرار الوضع بمدينة الرى، وقد عمل قدر الإمكان على تحسين علاقته مع المسئولين فى الداخل ومع جيرانه فى الخارج، إلا أن حدة الطبع التى كانت فى الوزير أفسدت عليه هذا التقارب، ويعلق أبوشجاع الروذراورى على ذلك بقوله : (وكانت فى أبى العباس شدة تغلب على طبعه وشح يفسد عليه كثيرا من أمره) ، هذه الصفات التى ذكرها الروذراورى كانت هى السبب وراء ضياع الوزارة من يد أبى العباس(١٦٠).

يضاف إلى ذلك ما كان بينه وبين السيدة والدة مجد الدولة من شك وريبة، خصوصا بعد موت (الإصفهيد الأكبر) ؛ وهو ابن أخى السيدة، فقد اتهمت الوزير بأن له يدًا فى قتله، ولما طلبت منه أن يدفع لها مصاريف العزاء رد قائلا لرسولها : (لو اشتغلت بما يعطاه الجند المطالبون لكان أولى من تشاغلها بعمل المواتيم للموتى الماضين) فغضبت من رده وأيقنت بأنه هو الذى قتل ابن أخيها ، فقالت : (صدق وكيف يقيم مأتمه من قتله)(١٦١).

وقد أدى ذلك إلى تأزم العلاقة بين الوزير والسيدة والدة مجد الدولة، فخاف الوزير على نفسه من أن تفتك به السيدة ، فقرر ترك مدينة الرى، ولكن قبل أن يرحل أراد أن يعرف رأى المستشار الفذ بدر بن حسنويه المتولى على مدينة بروجرد خلال هذه الفترة ولكن بدر بن حسنويه لم يوافقه على رأيه، واقترح عليه أن يبقى بمدينة الرى ويعمل على تحسين علاقته بالسيدة ، ولكن الوزير لم يأخذ لهذا الرأى، ويبدو أنه واقع تحت تأثير على بن الحسين بن القاسم العارض الملقب الخطير، وكانت له مكانة عند الوزير وموضع ثقته، وهو أحد المتنفذين

فى الجهاز الإدارى ، ولم يكن الوزير يعلم ما يضمره هذا الملقب بالخطير من شر، فترك مدينة الرى بعد أن رتب أموره وحصن نفسه بالأموال (١٦٢).

وعندما ترك الوزير مدينة الرى إلى مدينة بروجرد أصبحت الأجواء من الناحية الإدارية مهيأة أمام أبى على الحسين الملقب بالخطير ليتولى الوزارة بمدينة الرى ولو بالقوة، عندها ندم الوزير أبى العباس وحاول العودة إلى مدينة الرى مقابل أن يدفع مائتى ألف دينار للسيدة ولمجد الدولة فلم يقبل منه ، وهذا التصرف فيه حماقة من الوزير، فعندما كان فى الوزارة امتنع عن دفع مائتى دينار، والآن يبذل مائتى ألف دينار مقابل العودة فلايقبل منه(١٦٣)، ولم يعش الوزير بعد هذه الحادثة طويلا، فقد مات فى سنة (٣٩٢هـ / ١٠٠١م) أى بعد سنة أو أقل من إقصاء نفسه عن الوزارة ، وربما مات كمدا أو أسفا، وقد أوصى قبل موته بأن ينقل جثمانه إلى العراق ليدفن عند مرقد الحسين بن على بن أبى طالب فى مدينة كربلاء طلبا للتبرك (١٦٤).

وقد كان لهذا الاضطراب فى الجهاز الإدارى داخل مدينة الرى وفى منصب الوزارة وهو أعلى الرتب فى هذا الجهاز ، آثاره السيئة والسلبية على العلاقة بين البيت الحاكم، وقد كان للوزير الجديد الحسين بن القاسم الملقب بالخطير دور فعال فى إشعال نار الفتنة، فعمل على زرع الريبة والشك بين السيدة وابنها مجد الدولة، فجعل الأم تخاف ابنها، كما استمال إلى جانبه كبار القواد والمسئولين، وعمل على تجريد مجد الدولة من السلطات ، فأصبح شبه معزول لايملك من السلطة إلا القليل فى ظل حكومة هذا الوزير الملقب بالخطير، فخافت الأم على نفسها من مؤامرات الوزير فهربت إلى القلعة ؛ وهى من ضواحى مدينة الرى، فتبعها الوزير بجواسيسه وعيونه فلما ضيق عليها الخناق اضطرت اللجوء إلى مدينة بروجرد عند مستشارها الخاص بدر بن حسنويه الذى أحسن استقبالها وضيافتها وقدم لها المساعدات ، كما ساعد إبنها الأصغر شمس الدولة ، وقام بإعداد العساكر وقادها بنفسه متوجها نحو الرى ، وقد تمكن بعد معارك طويلة من احتلال الرى سنة (٣٩٧هـ / ١٠٠٦م) فأعاد السلطة إلى السيدة الأم وقبض على مجد الدولة المخدوع ووضع فى السجن، وجعلت السيدة إبنها شمس الدولة هو الحاكم للرى، تشاركه فى الحكم وممارسة السلطة، ولكنها أحست بعد ذلك بتغير ابنها عليها وبأطماعه المتنامية، وكان ذلك بتحريض من الأعداء والحاشية المحيطة بشمس الدولة، فأبعدته عن السلطة ، وجاءت بابنها المخلوع مجد الدولة وأعادته إلى الحكم، وعاد شمس الدولة إلى مدينة همذان مقر حكمه ، وجعلت جميع الأمور تدار تحت إشرافها

مباشرة، فهى التى تستقبل الرسائل من الأمراء والملوك، وقد أحدثت تغييرا إداريا ، فقد عينت ابن خالها أبا جعفر بن دشمتربار بن كاكويه ليتولى أمر مدينة إصفهان (١٦٥).

وقد طمع شمس الدولة بن فخر الدولة المتولى على همذان بأملاك بدر بن حسنويه، فقام بهجوم خاطف على مدينة بروجرد فى سنة (٤٠٥هـ / ١٠١٤م) واحتلها ، واستولى على الأموال والذخائر التى كانت موجودة فى قلاعها، فاستفاد من هذه الأموال فى تكوين العساكر، فأصبح بذلك قوة عسكرية كبيرة فى المنطقة، وقد دفعه ذلك إلى غزو مدينة الرى واحتلالها، وكان بها أخوه مجد الدولة ووالدته، فتركوا مدينة الرى ورحلوا(١٦٦) إلى مدينة دنباوند فدخلها شمس الدولة وأذعن أهلها له بالطاعة ، إلا أن شغب الجند وتمردهم جعله يضطر للعودة إلى همذان ، وقبل خروجه استدعى والدته وأخاه للعودة إلى الرى وسلمهما السلطة(١٦٧).

وقد تمرد الأتراك بهمذان على شمس الدولة فى سنة (٤١١هـ / ١٠٢٠م) ، فاستنجد بخال والدته أبى جعفر بن كاكويه المتولى على إصفهان ، والسيدة الأم حاكمة مدينة الرى هى التى طلبت من ابنها ذلك، فأمده بالعساكر فتمكن من القضاء على هذا التمرد(١٦٨). ويبدو مما مر ذكره أن المصادر التى رجعنا إليها لم تكن واضحة فى موضوع إبراز الحدود السياسية والعسكرية التى كانت لمدينة الرى على المدن المحيطة بها، فهى دائما تفاجئنا بأن حاكم مدينة الرى قد عين ابنه أو أخيه على همذان مثلاً أو بروجرد ، دون أدنى توضيح إن كانت هذه المدن تابعة لمدينة الرى أم لا؟ مما يوقعنا فى حيرة من أمرنا، وليس أمامنا إلا التسليم.

الغزنويون يسيطرون على مدينة الرى :

إن فساد العلاقة بين أبناء البيت البويهى الحاكم فى مدينة الرى، حيث لم يكن هناك تفاهم بين الأخوين وأمهما، ، قد أفسح المجال للضعف والوهن أن يسرى فى جسم هذه الإمارة، فضلا عن السياسة التى انتهجها مجد الدولة بن فخر الدولة فى سنوات (٤١٧هـ / ١٠٢٦م) وما بعدها ، فقد انشغل عن مهام السلطة بالنساء ومطالعة الكتب ونسخها ، فأفسح المجال بذلك أمام الجند والقادة الذين لم يجدوا رقيبا يحاسبهم إلى التدخل فى شئون السلطة، حتى أصبحت معظم الأمور تقريبا فى أيديهم خصوصا بعد وفاة السيدة والدة مجد الدولة، وكان لوفاتها الأثر البالغ فى ضياع السلطة من يد مجد الدولة(١٦٩).

إن الوضع السياسي المضطرب الضعيف المتهرئ الذى تعيشه مدينة الرى، قد خلق مناخا سياسيا غير متوازن مما شجع القوى المجاورة على القيام بالتهام هذا الصيد السهل، وهذا ما صنعه (منوجهر بن قابوس بن وشمكير) المتولى على جرجان وطبرستان ، فقد قام بغزو مدينة الرى والاستيلاء عليها، فلم يكن أمام مجد الدولة إلا طلب النجدة من عدوه التقليدى ، السلطان يمين الدولة محمود بن سبكتكين الغزنوى أمير خراسان وما وراء النهر، فلم يتردد السلطان محمود فبعث عساكره إلى مدينة الرى فتمكنت من دحر الغزاة وهزيمة (منوجهر) ، وأعاد الهدوء والاستقرار إلى المدينة ، إلا أن مساعدات يمين الدولة السلطان محمود لم تكن لوجه الله، وإنما كانت تسيرها أطماعه بمدينة الرى، فضمها إلى أملاكه وأمر باعتقال مجد الدولة، ومما شجعه على ذلك ما وجد عليه مجد الدولة من الإهمال والضعف وعدم الكفاءة فى إدارة شئون البلاد، فوجد أنه أولى من غيره، فأمر بمصادرة جميع الأموال الموجودة فى خزائن مجد الدولة، وكانت قيمة الجواهر فقط خمسمائة ألف دينار، ومن الدنانير ألف ألف دينار، وأمر بنقى مجد الدولة إلى خراسان ، وقد بعث برسالة إلى الخليفة العباسى القادر بالله، يصف له فيها حالة مجد الدولة وفساد السلطة وما آل عليه الوضع بمدينة الرى، وهذا كتبرير لما قام به السلطان يمين الدولة من احتلاله لمدينة الرى(١٧٠).

وفى أثناء وجود السلطان يمين الدولة محمود بمدينة الرى قام بالتنكيل بجماعات الباطنية ومحاربتهم وقتل منهم أعدادًا كبيرة، كما اعتقل عددًا كبيرًا من المعتزلة وأحرق كتبهم ونفاهم إلى خراسان، كما أحرق كتبًا أخرى فى علم الفلسفة والفلك، ولم يتعرض لكتب الأدب الموجودة فى مكتبات مدينة الرى، وأمر بنقلها إلى مدينة غزنة فاحتاج إلى مائة بعير لحملها (١٤١)، ثم عاد إلى خراسان واستخلف على مدينة الرى ابنه مسعود(١٧٢).

وهكذا ينتهى حكم الديالمة وعلى رأسهم الأسرة البويهية من مدينة الرى، وسقط حكم مجد الدولة بن فخر الدولة فى سنة (٤١٩هـ / ١٠٢٨م) وقد عمل مسعود بن يمين الدولة محمود على تثبيت نفوذه بالرى، فخاض من أجل ذلك المعارك الكثيرة، ففى سنة (٤٢٠هـ / ١٠٢٩م) دارت معارك بينه وبين السالار إبراهيم بن المرزبان بن إسماعيل بن هسوذان بن محمد الديلمى المتولى على سرجهان(١٧٣) وزنجان وأبهر وشهرزور انتصر فيها مسعود (١٧٤).

وكثيرا ما كانت الرى تتعرض لهجمات الترك الغز، وهم أتباع أرسلان بن سلجوق، فقد اجتاحوا خراسان وإصفهان والرى وغيرها من المدن ، فكانوا يقومون بعمليات النهب والسلب

والقتل، فلما هجموا على خراسان ذهب الأمير مسعود إليها لمساعدة والده يمين الدولة محمود ابن سبكتكين ، فاستغلت بعض القوى الطامعة بمدينة الرى غياب الأمير مسعود فغزوها واستولوا على السلطة، وكان على رأس هؤلاء أبو جعفر بن كاكويه الملقب بعلاء الدولة، وكان للترك الغز دور بارز فى مساعدته ، فأراد الأمير مسعود أن يعيد سلطانه على مدنية الرى، فبعث قائده (تاش فراش) فى جيش كثيف لمحاربة علاء الدولة أبو جعفر كاكويه (١٧٥)، ولكن القائد (تاش) لم يقو على محاربة الترك الغز، فقد حاصروه ، وظل علاء الدولة كاكويه محتفظًا بمدينة الرى، ثم أخذ يتوسع فاستولى على همذان وإصفهان (١٧٦).

وكان الأمير مسعود بن يمين الدولة خلال هذه الفترة مشغولا فى حربه مع بعض العناصر المناوئة فى بلاد الهند ، ولما هدأت الأوضاع هناك توجه فى الحال إلى مدينة الرى وأعمالها وخلصها من نفوذ علاء الدولة كاكويه. ففى سنة (٤٢١هـ / ١٠٣٠م) سير جيشا إلى همذان فاحتلها وطرد عنها عمال علاء الدولة، وفى خضم هذه المعارك أتته أخبار تنبئه بوفاة والده يمين الدولة محمود ، فإضطر إلى إرجاء حروبه مع علاء الدولة كاكويه (١٧٧). وكان مسعود هو الابن الأكبر ، إلا أن أباه قد فضل عليه أخاه الأصغر محمد ليتولى العرش وولاه ملك خراسان وما وراء النهر، وقرر الأمير مسعود الذهاب إلى خراسان ، ولكن الثورة المفاجئة التى قام بها أهل إصفهان منعته من ذلك ، فتوجه إليهم وقضى على ثورتهم بعنف (١٧٨).

بعد ذلك أراد التوجه إلى خراسان ولكنه فضل الذهاب إلى مدينة الرى للاطمئنان على الوضع هناك والتعرف على مدى ولاء أهل الرى له، ولما علم أهل الرى بقدومه إليهم استعدوا لاستقباله ، فزينوا مدينتهم، ويعلق المؤرخ البيهقى على ذلك، وهو المؤرخ المعاصر لهذه الأحداث والقريب منها بقوله : أنهم زينوا مدينتهم (بأبهى الزينات التى تفوق حد الوصف)، ولم يدخل الأمير مسعود المدينة بل أقام بظاهرها، فخرج إليه أهل الرى العامة والخاصة منهم حاملين الهدايا، وهذا يعطينا مؤشرا عن مدى ارتياح معظم أهل مدينة الرى لحكم الأمير مسعود . وقد بعث الأمير مسعود بمن يثق بهم من الحاشية إلى مدينة الرى ليشاهدوا هذا الاحتفال الذى أعده أهل الرى لينقل إليه الخبر بصورة صادقة، وقد شكر الأمير مسعود أهل الرى على صنيعهم وأثنى عليهم(١٨٠).

وقبل أن يترك الأمير مسعود مدينة الرى أراد أن يجتمع بأعيان أهل الرى وكبرائهم ، فأمر بأن يُعد موكب فخم لاستقبال هؤلاء الأعيان، وكان هذا الموكب يضم بين صفوفه الخيالة

والمشاة المدججين بالسلاح والغلمان ، وكان غرض الأمير مسعود من ذلك، أن يشاهد هؤلاء الأعيان القوة العسكرية التى يمتلكها الأمير، ربما لتزيد فى اطمئنانهم وولائهم له. وجاء أعيان ووجوه الرى وكان عددهم يتراوح ما بين خمسين إلى ستين رجلا، وبدأ الحفل بخطاب الأمير مسعود يسأل فيه أعيان الرى مستفسرا عن رأيهم فى سيرته معهم ، وهذا نص الخطاب :

(كيف كانت سيرتنا فيكم هذه المدة لاتخجلوا وأجيبوا دون خوف أو وجل، فقالوا : أمد الله فى حياة الأمير، فقد نجونا من جور الديالمة وعسفهم ؛ (يعنون بذلك البويهيين) وشملنا اسم هذه الدولة العظيمة أدامها الله ونحن ننام فى أمن آمنين على أرواحنا وأموالنا ونسائنا وأولادنا، نأكل فى أمن وتنام فى دعة ونعيش فى سعة ، رافعين أكف الضراعة إلى المولى سبحانه ليديم ظل رحمة الأمير وعدله علينا إذ لم نكن فى شئ من هذا على عهد الديالمة)(١٨١).

وقد بعث هذا الرد الذى سمعه من أعيان الرى الطمأنينة فى نفسه وتأكد له مدى وفائهم وإخلاصهم وولائهم له وقبل أن يترك مدينة الرى، أعد شحنة من الفرسان الأقوياء كان عددهم خمسمائة فارس كحامية ، وعين حسن بن سليمان على رأس هذه الشحنة وليكون عاملا على الرى، ولكن الأمير مسعود كأنه استصغر هذا العدد، وقد لاحظ أحد مستشاريه الحيرة بادية على وجه الأمير مسعود ، فقال للأمير: (إذا أراد أهل الرى الوفاء ، سيأتمرون بأمر من يسميه مولانا عاملا عليهم وإن هم أرادوا العصيان فلن تنفع معهم كثرة الرجال) فاستصوب الأمير رأيه وقال : (حقا) (١٨٢).

بعد ذلك بعث الأمير مسعود إلى أخيه محمد يعترف له بالملك على خراسان وما وراء النهر وغيرها من الممالك، وإنه قانع بما لديه من الإمارة على الرى وأعمالها، ولكنه فى ذات الوقت طلب من أخيه أن يقدمه على نفسه فى الخطبة على اعتبار أنه الأكبر، فقبل محمد وبعث برسالة إلى مسعود ليؤكد له ذلك، ولكن الأحداث أثبتت أن محمدا لم يكن صادقا فى وعده ، فقد نقض الاتفاق ولم يكتف بذلك، بل دفعته أطماعه التوسعية إلى الذهاب إلى الرى لمحاربة أخيه، ولكن بعض القادة كان يميل إلى جانب مسعود لشجاعته وخبرته فى الحروب، فعمدوا إلى محمد وقيدوه وسجنوه ونادوا بشعار مسعود ، وكتبوا إليه يدعونه المجئ فى الحال إلى خراسان(١٨٣).

فقرر الأمير مسعود الذهاب إلى خراسان ، وفى ذات الوقت أتته رسالة من الخليفة العباسى القادر بالله ، وكانت تتضمن اعتراف الخليفة بالأمير مسعود سلطانا على جميع

الممالك التى كانت تحت نفوذ أبيه يمين الدولة محمود (١٨٤)، هذه الرسالة شجعته وبعثت فى نفسه الثقة للمضى إلى خراسان ، وعند رحيله من مدينة الرى، تجمهر الخاصة والعامة مودعين فى موكب كثيف من الجند والحرس (١٨٥).

وعند وصول الأمير مسعود خراسان استقبلته العساكر تهنئه ومن الغريب حقا أنه أمر بقتل القادة الذين أيدوه وفضلوه على أخيه، واعتبرهم خونه لأنهم غدروا بأخيه، وقد بايعه الناس فى شهر ذى القعدة سنة (٤٢١هـ/ ١٠٣٠م) ملكا على خراسان وما وراء النهر، فكانت حدود مملكته من خراسان إلى مدينة غزنة وبلاد الهند والسند وكرمان ومكران، بالإضافة إلى مدينة الرى وأصفهان وبلاد الجبل، فكانت رسائل الأمراء تأتيه من كل هذه الأقطار المجاورة منها والبعيده(١٨٦).

ومن الترتيبات والأعمال الإدارية التى وضعها السلطان مسعود بمدينة الرى ، أنه عين طاهر دبير الكاتب بمرتبة كتخدا على مدينة الرى ونواحيها؛ والكتخدا من أهم الوظائف ، حيث أن صاحبها بيده الإشراف على تدبير الأموال والأعمال فى المدينة(١٨٧).

إلا أن ابتعاد السلطان مسعود عن مدينة الرى قد هيأ الظروف والفرص أمام الطامعين لغزو مدينة الرى، ومن هؤلاء الطامعين ، فناخسرو بن مجد الدولة البويهى محاولا بذلك إعادة نفوذ أسلافه البويهيين على مدينة الرى، وقد كان فناخسرو أثناء احتلال السلطان يمين الدولة محمود سبكتكين ؛ والد الأمير مسعود لمدينة الرى . مختبئًا فى موضع يقال له قصران (١٨٨)، وقد احتل فناخسرو المدينة بقوة عسكرية مؤلفة من الديالمة والأكراد، ولكن سرعان ما تمكن نائب السلطان مسعود على مدينة الرى، حسن بن سليمان من إعادة نفوذه بالقوة ودحر هذه العساكر فانهزم فناخسرو(١٨٩).

ومن الذين طمعوا باحتلال مدينة الرى، أبوجعفر علاء الدولة بن كاكويه ، فقد استغل هو الآخر فرصة غياب السلطان مسعود، وانشغاله أول الأمر مع أخيه محمد، وكان علاء الدولة بن كاكويه مستجيرا عند عبد الملك أبى كاليجار بخوزستان، فتوجه ابن كاكويه أول الأمر إلى إصفهان واحتلها ثم احتل همذان ، ومنها إلى الرى فاحتلها واحتل دنباوند؛ وهى من أعمال الرى، والذى كان يتولى دنباوند أنوشروان بن منوجهر بن قابوس ، فأخذ يعمل هذا على استرجاع مدينته من علاء الدولة بن كاكويه ، فاستعان بالسلطان مسعود الموجود فى خراسان، وكتب له يهنئه ويطلب منه العون والمساعدة لمحاربة علاء الدولة، ويشترط مقابل ذلك

إذا ما تحقق له النصر أن يكون عاملا على الرى وأعمالها باسم السلطان مسعود ، يضاف إلى ذلك أن يدفع مبالغ من المال فى كل سنة يتفق عليها، فوافق السلطان مسعود على هذا العرض وبعث بالعساكر من خراسان لتنضم إلى عساكر أنوشروان ، وبهذه الطريقة استطاع أنوشروان دحر علاء الدولة أبوجعفر بن كاكويه ، فاحتل مدينة الرى ومعظم أعمالها ، وخطب بها للسلطان مسعود (١٩٠).

وفى شهر ذى الحجة من سنة (٤٢٢هـ / ١٠٣٠م) توفى الخليفة العباسى القادر بالله، وكانت مدة خلافته إحدى وأربعون سنة وأشهرا، وخلفه ابنه أبوجعفر عبدالله ، ولقب بالقائم بالله (١٩١).

ويبدو أن اتفاق السلطان مسعود مع أنوشروان قد انتهى فى سنة (٤٢٢هـ) ، بدليل أنه أصدر أمرا بتفويض (تاش فراش) قائد الجيوش الخراسانية الإمارة على الرى وهمذان ومنطقة الجبال (١٩٢). وقد كان (لتاش فراش) حروب ووقائع عديدة مع علاء الدولة أبو جعفر بن كاكويه ، تسببت فى حدوث الفوضى والاضطراب وعدم الاستقرار فى هذا الإقليم (١٩٣)، ويحتمل أن هذه الاضطرابات دفعت السلطان مسعود إلى تغيير سياسته مع هذه القوى المناوئة ، فاتبع معهم سياسة اللين والمصالحة، ربما دفعته ظروفه لمثل هذا الأسلوب ، ففى سنة (٤٢٤هـ / ١٠٣٢م) أجرى عدة اتفاقات ودية مع هذه القوى، أولها مع علاء الدولة أبوجعفر بن كاكويه ، فقد اتفق معه على إقراره على إصفهان نظير تعهد علاء الدولة بأن يدفع مبالغ من المال للسلطان مسعود فى كل عام تحدد حسب الوضع الاقتصادى للمدينة. كذلك أجرى مع (منوجهر بن قابوس بن وشمكير) نفس الاتفاق نظير ولايته على جرجان وطبرستان(١٩٤).

كان للأزمات السياسية التى تعرضت لها مدينة الرى إبان هذه الفترة، وهى المتمثلة فى هجمات الطامعين فى الاستيلاء على المدينة أن خلقت جوا سياسيا خانقا غير متوازن وغير مستقر فى مدينة الرى، كانت له آثاره السيئة على الوضع الداخلى بالمدينة ، لاسيما فى الجوانب الإدارية والاجتماعية ، فمن هذه الانحرافات الإدارية ما قام به الحاكم الكتخدا طاهر دبير ، فقد أهمل أعماله وواجباته وانغمس فى ملذاته الخاصة، من لهو وشرب ومجون، ومظاهر الإسراف والأبهة والطغيان ، فكان ينثر فى مجلسه على الحاضرين الورد فى مواسمه ممزوجا بالدنانير الذهبية والدراهم، وكانت أوانى الشراب المصنوعة من الذهب والفضة تربط بحبال من الحرير وتشد على أوساطهم وهم يرقصون سكارى ثملين والكتخدا طاهر دبير يتوسط الراقصين ، وكان يضع على رأسه تاج نسيجه من الورد الجورى والياس، هذه الليالى

الحمراء التي يقيمها الكتخدا قد جرفت معها حتى القادة المخلصين للسلطان مسعود ، أمثال القائد الكبير (تاش فراش) فقد انغمس فى هذا اللهو، مما يدل على عدم أمانة هؤلاء المسئولين فراحوا يعبثون بأموال مدينة الرى وينفقونها على ملذاتهم الخاصة دون أدنى مراعاة لحقوق الآخرين من العامة فى مدينة الرى (١٩٥).

هذه الأوضاع التى كانت تجرى فى مدينة الرى ربما كانت من الأسباب التى شجعت الطامعين فى الاستيلاء على مدينة الرى. وقد وصلت أخبار فساد الجهاز الإدارى إلى السلطان مسعود ، فقرر عزل طاهر دبير، ورشح لهذا المنصب عدداً من الشخصيات ولكن بعد تشاور السلطان مع كبار المسئولين استقر رأيه على أبى سهل الحمدوى؛ لما يتصف به من العدل والفضل ، حتى أن السلطان مسعود أثنى عليه وقال: (ولكن أبا سهل الحمدوى أهل لهذا المنصب فإنه ذو شهامة وكفاية وحنكة وله فى مهام الأمور سابقة)(١٩٦).

وقد أراد السلطان مسعود أن يرسل ابنه الأمير سعيد مع أبى سهل الحمدوى، ليكون نائبا عنه بمدينة الرى، أما الإدارة والحكم فتكون بيد الكتخذا أبى سهل الحمدوى، وهذا نص خطاب السلطان مسعود للكتخدا :

(فكرنا بالأمس فى أمر الرى والجبال فرأينا من الصواب أن نبعث معكم ولدنا الأمير سعيد بأبهة فائقة حتى يكون نائبا عنا وتكون كتخداه ، بحيث يكون الحل والعقد والخفض والرفع والأمر والنهى فى يدك ويصغى ولدنا إلى نصحك فتكمل بذلك أسباب الهيبة). وقد رحب أبوسهل الحمدوى بهذا الرأى ولم يعارضه، إلا أنه اقترح على السلطان أنه إذا كان الهدف الحصول على الهيبة من مجئ الأمير سعيد، فمن المصلحة أن يؤجل ذلك ريثما يستقر الوضع فى مدينة الرى ، وفى ذات الوقت يتم القضاء على القوى المعادية الطامعة بمدينة الرى، فوافقه السلطان واستحسن رأيه(١٩٧).

هذا التغيير الإدارى الذى أحدثه السلطان مسعود قد شمل القائد (تاش فراش) بالإضافة إلى الكتخدا السابق طاهر دبير ، وتقلد أبوسهل الحمدوى هذا المنصب ، وقد أجرى عدة إصلاحات فى مدينة الرى وقد نجح فى ذلك إلى حد كبير ، فكان العدل أساس حكمه، ورفع المظالم والرشاوى والمصادرات التى كانت متفشية زمن الكتخدا طاهر دبير والقائد (تاش فراش) فأمن الناس على أموالهم وحقوقهم ، فكان لذلك آثاره الطيبة على النواحى الاجتماعية والاقتصادية والسياسية فى مدينة الرى، مما أدى إلى استقرار الأوضاع فى هذه المدينة إبان هذه الفترة على الأقل أى فى سنة (٤٢٤هـ / ١٠٣٢م) (١٩٨).

لقد سبق وذكرنا أن السلطان مسعود قد أبرم اتفاقية مع علاء الدولة أبى جعفر بن كاكويه، ولكن علاء الدولة نقض هذا الاتفاق المعقود بينه وبين السلطان مسعود، باعتدائه على العساكر الخراسانية التى كان يقودها أبو سهل الحمدوى المسئول عن الرى، وقد أدى ذلك إلى حدوث حروب بين الطرفين أسفرت عن هزيمة علاء الدولة ونهبت أمواله وذخائره واحتلت إصفهان مقر حكمه ، فهرب علاء الدولة إلى إيدج(١٩٩) لاجئا عند الأمير أبى كاليجار (٢٠٠).

إلا أن علاء الدولة بن كاكويه لم يوقف نشاطه العسكرى، فقد عاود تحرشاته فى سنة (٤٢٧هـ / ١٠٣٥م) لإعادة نفوذه على إصفهان، ولكن أبا سهل الحمدوى كان له بالمرصاد ، ولم يمكنه حتى من اللجوء عند أبى كاليجار ، فانهزم إلى مدينة بروجرد وهناك نهبوا أمواله، ومنها ذهب إلى مدينة الطرم (٢٠١)، فلم يقبله أميرها السالار لاجئا(٢٠٢).

إن عدم الاستقرار فى مدينة الرى وفى سائر المدن التابعة لسلطان الملك مسعود شمل أيضا مدينة خراسان وبلاد ما وراء النهر، فأخذت تحاك المؤامرات هذه المرة ضد السلطان مسعود بن محمود أمير خراسان وما وراء النهر، فقد أراد مدبروها الإطاحة بالملك مسعود وإعادة السلطة إلى أخيه محمد ، وأسفرت هذه المؤامرة عن مقتل السلطان مسعود فى سنة (٤٣٢هـ / ١٠٤٠م) ، ونادوا بمحمد ملكا على خراسان وتوابعها ، ولكن هذا الأمر لم يمر بسلام، فقد استطاع (مودود) ؛ وهو أحد أبناء الملك مسعود أن ينتقم لأبيه بعد أن تولى على الأمر، فأمر بقتل عمه محمد وأبناء عمه على وأحمد، وأمر بقتل القادة الكبار الذين دبروا هذه المؤامرة(٢٠٣).

وقد أثبتت الأحداث بعد ذلك أن خراسان لم تعد قادرة على الاستمرار فى القيادة المركزية للولايات التابعة لها بعد مقتل السلطان مسعود، ففى سنة (٤٣٣هـ / ١٠٤١م) تمكن علاء الدولة أبو جعفر بن كاكويه من السيطرة على مدينة الرى ، ولم تكن هناك ردود فعل من السلطة المركزية فى خراسان، ولم تستنكر هذا الفعل وهذا دليل على ضعفها وتشتت قوتها، وقد مات علاء الدولة بن كاكويه واستمر أبناؤه وهم: ظهير الدين أبو منصور فرامرز، وأبوكاليجار كرشاسف، ثم الأخ الأصغر أبوحرب يمارسون سلطانهم على مدينة الرى وإصفهان وهمذان (٢٠٤).

مدينة الرى تحت نفوذ السلطان طغرلبك :

إلا أن القوة المتنامية للسلاجقة إبان هذه الفترة والتى وضع أساسها السلطان ركن الدولة أبوطالب طغرلبك ، محمد بن ميكائيل بن سلجوق مؤسس الدولة السلجوقية ، وقد امتد نفوذها على معظم المدن الفارسية، كخوارزم وطبرستان وجرجان وكرمان وأعمالها وقزوين وبلاد الجبل، كما وضع حدا لنفوذ أبناء أبى جعفر علاء الدولة ولو لفترة محددة، ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل إن السلطان طغرلبك قام بغزو مدينة الرى فى سنة (٤٣٤هـ / ١٠٤٢م) وفتحها واستولى على أعمالها، كما استولى على أموال وضياع أبناء علاء الدولة أبى جعفر (٢٠٥)، وكان يخطب له فى جميع هذه المدن بما فيها مدينة الرى (٢٠٦)، ويذكر الحافظ الذهبى أن طغرلبك أسرف فى القتل حتى تمكن من إخضاع مدينة الرى، فلم يبق فى المدينة، والكلام للحافظ الذهبى غير ثلاثة آلاف إنسان، وأرى أن هذا الرقم الأخير مبالغ فيه ، فلايعقل أن يصل القتل إلى هذا الحد ، حتى لم يبق فى المدينة غير هذا النفر، فيجوز أنهم فروا من المدينة خوفا من القتل والتنكيل فلم يبق فى المدينة غير النفر الذين ذكرهم الحافظ الذهبى(٢٠٧).

وقد كانت للسلطان طغرلبك اهتمامات بالنواحى العمرانية ، فلما استقر الوضع بمدينة الرى عمد إلى التعمير، وأول عمل قام به أنه أمر بتجديد بناء مدينة الرى، كذلك اهتم بتحسين علاقاته مع جيرانه، لذلك فقد وصلته من أمير خراسان (كامرو) هدايا قيمة، وهى عبارة عن مركب مصنوع من الذهب، وخزينة لوضع المجوهرات من صنع الصين(٢٠٨).

ولكن ما زال فناخسرو بن مجد الدولة البويهى يحلم فى استرجاع مجد آبائه وأجداده ، فقد كان له نشاط ملحوظ خلال هذه الفترة ؛ أى فى سنة (٤٣٩هـ / ١٠٤٧م) ، وكان ينوى إعادة مدينة الرى، لذلك تحرك بقواته نحو مدينة آمد؛ وهى من أعمال السلطان طغرلبك ، فاحتلها وقتل عددا من أتباع طغرلبك، وكان طغرلبك بمدينة الرى فخرج منها لقتال فناخسرو(٢٠٩)، كذلك كانت بين طغرلبك وبين أبى منصور بن علاء الدولة الذى أعاد نفوذه على إصفهان ، مناوشات فى سنة (٤٤٢هـ / ١٠٥٠م) ، فقد حاصره ولما طال الحصار أذعن أهل مدينة إصفهان بالطاعة لطغرلبك وسلموه البلد فدخلها ، وفضل السكن بها ، فنقل مقر حكمه فى سنة (٤٤٣هـ / ١٠٥١م) من الرى إلى إصفهان (٢١٠). كما قبض على الملك الرحيم؛ وهو آخر ملوك بنى بويه وسجنه فى القلعة بمدينة الرى، ومات فى سنة ٤٥١هـ / ١٠٥٩م (٢١١)، وقد اتسع سلطان طغرلبك حتى وصل إلى بغداد والموصل، وقد توفى طغرلبك بمدينة الرى فى سنة (٤٥٥هـ / ١٠٦٣م) (٢١٢).

وبعد موت طغرلبك ورثه ابن أخيه ألب أرسلان، واسمه محمد بن داود بن ميكائيل بن سلجوق ، وآلت إليه السلطة فى بغداد وفى غيرها من المدن العراقية، إلا أن موت طغرلبك المفاجئ قد خلق جوا سياسيا غير متوازن ، لاسيما فى الولايات التى تقع فى مشرق الخلافة العباسية ، وأفسح هذا المناخ المجال أمام القوى الطامعة أن تتحرك للتوسع على حساب القوى الضعيفة ، وهذا ما حدث بالفعل ، ففى سنة (٤٥٦هـ / ١٠٦٣م) قام شهاب الدولة قتلمش بغزو مدينة الرى، ولكن السلطان ألب أرسلان حاكم بغداد سبقه فى الوصول إليها وتحصن بها ، وحدث القتال بين الطرفين عند مشارف مدينة الرى انتصر فيه ألب أرسلان وقتل قتلمش (٢١٣).

بعد ذلك خرج ألب أرسلان من مدينة الرى فى ربيع الأول من نفس السنة المذكورة متوجها إلى مدينة آنى لمحاربة الروم، هذا إلى جانب ما كان بينه وبين شمس الملك تكين المتولى على بلاد ما وراء النهر من حروب، وقد انتهت بمقتل السلطان ألب أرسلان، وقد أوصى بأن تكون السلطة من بعده لابنه ملكشاه ، فتولى السلطة فى سنة (٤٦٥هـ / ١٠٧٢م)، وتوجه إلى مدينة الـــرى (٢١٤)، ولكن نلاحظ أن (قاورت بك) عم السلطان ملكشاه المتولى على كرمان كانت له أطماع بالرى وأعمالها، فسير جيوشه لاحتلالها ، فاصطدم ملكشاه مع عمه ودار قتال بينهما عند مدينة همذان أسفر عن انتصار ملكشاه ، فأسر عمه (قاورت) ثم أمر بقتله، وكان للوزير نظام الملك دور بارز فى هذا النصر الذى حققه ملكشاه على عمه (٢١٥).

وقد أخذ سلطان ونفوذ ملكشاه يتسع حتى شمل من حد الصين شرقا إلى بلاد الشام غربا، ومن أقصى الشمال إلى اليمن، وكان يخطب له فى هذه البلاد الواسعة ، وحتى ملوك الروم كانوا يحملون إليه الجزية، واتسم حكمه بالعدل والسيرة الطيبة، وبعد وفاته خلفه ابنه محمود، وهو أصغر من أخيه (بركيارق)، وكان لأم محمود؛ (تركان خاتون) أو زبيدة خاتون دور بارز فى وصول ابنها إلى السلطة ولكن (بركيارق) لم يقبل هذه القسمة فأخذ يحيك المؤامرات حتى استطاع إبعاد أخيه وتولى هو السلطة، وذهب إلى الرى فوجد زبيدة خاتون أم أخيه فأمر بخنقها وكانت فى الحمام ، ثم بعد ذلك أخذ نفوذ (بركيارق) يتعاظم ، فكان يخطب له فى يوم الجمعة فى مساجد بغداد، فضلا عن مدينة الرى وأعمالها(٢١٦).

وفى سنة (٤٩٦هـ / ١١٠٢م) ظهر على مسرح الأحداث ينال بن أنوشتكين الحسامى، كمنافس خطير (لبركيارق) ، وقد استطاع بمساعدة حاكم مدينة إصفهان السلطان محمد من

احتلال مدينة الرى، والسلطان محمد هو أخ للسلطان بركيارق ، ولم تكن العلاقة بينهما طيبة بل اتسمت بالعداء والحروب الطويلة، يذكرها ابن الأثير وغيره من المؤرخين ، وقد أراد ينال أن يرد الجميل للسلطان محمد، فأمر أئمة المساجد أن يخطبوا بالرى للسلطان محمد، ولم يكن ينال الذى استولى على مدنية الرى محبا لأهل الرى، فقد أساء إليهم وصادر أموال بعض التجار ، ولكن (بركيارق) لم يدعه يهنأ بحكم الرى فقد غزا الرى بقيادة (برسق بن برسق) الذى تمكن من إلحاق الهزيمة بينال، فدخل (بركيارق) مدينة الرى وهرب عنها ينال إلى منطقة الجبال وتفرق عنه جنده وأتباعه ولم يبق معه إلا القليل ذهب بهم إلى بغداد ، فأكرمه الخليفة العباسى المستظهر بالله أبو العباس أحمد، ولكن بعد ذلك طرد من بغداد لسوء سلوكه مع الناس واعتداءاته المتكررة على التجار(٢١٧).

وفى أثناء النزاع الطويل الذى أشرنا إليه والذى دار بين الأخوين، السلطان بركيارق والسلطان محمد فى سنة (٤٩٦هـ) استطاع السلطان محمد فى نهاية الأمر السيطرة على مدينة الرى وطرد عنها نواب وأتباع السلطان (بركيارق) ، ثم بعد ذلك تم الصلح بينهما، فكانت المناطق التى تحت نفوذ السلطان محمد هى: كنجة وبلاد آران (٢١٨)، بالإضافة إلى الرى وأعمالها (٢١٩)، وبلغ اتساع مملكة السلطان محمد من حد خراسان وما وراء النهر إلى الرى وتوابعها، ومات السلطان محمد فى سنة (٥١٢هـ / ١١١٨م) وخلفه ابنه السلطان سنجر بن محمد ، فقد ورث هذه المملكة وعمل جاهدا للمحافظة عليها وخاض الحروب من أجلها(٢٢٠).

ومن الملاحظ أن معظم هذه النزاعات والحروب كانت تقع بين أبناء البيت الحاكم، فى سنة (٥١٣هـ / ١١١٩م)، وقعت خلافات بين السلطان سنجر وبين ابن أخيه السلطان محمود بن أحمد حيث كان السلطان محمود يطمع فى السيطرة على مدينة الرى، هذه الخلافات قادتهم إلى حدوث صدام عسكرى بينهما داخل حدود مدينة الرى، وقد هزم السلطان محمود فى هذا النزاع ، وعمل السلطان سنجر على تحصين حدوده بمدينة الرى(٢٢١). وكان آخر هذه الحروب التى خاضها السلطان سنجر فى سنة (٥٣٦هـ / ١١٤١م) مع الأتراك الخطا، فاستعد لقتالهم وفوض عنه ابن أخيه مسعود على مدينة الرى، ولكن السلطان سنجر انهزم أمام الأتراك الخطا فاستولوا على بلاد ما وراء النهر. أما مدينة الرى فإن مسعود تركها وذهب إلى بغداد بعد أن أناب عنه شخص يدعى الأمير عباس ، وخلال وجود الأمير مسعود فى بغداد استطاع الوصول إلى السلطة ، فأصبح حاكما على بغداد(٢٢٢).

أما الأمير عباس فقد استقل بحكم مدينة الرى وخرج عن طاعة السلطان مسعود، وقد شجعه أمير خوزستان وبلاد فارس المدعو (يوزابة) على التمرد، وكره الملك مسعود محاربتهم ، وربما لم تكن الظروف مهيئة لهذا الغرض، فتصالح معهما فى سنة (٥٤٠هـ / ١١٤٥م) (٢٢٣)، وتشير الدلائل إلى أن الأمير عباس قد حكم مدينة الرى بالعدل، وأحسن إلى أهلها وتتبع جماعات الباطنية فحاصرهم ونكل بهم واضطهدهم وقتل منهم الكثير حتى أن ابن الأثير يقول أنه عمل منارة من جماجمهم ، ثم عول على الجيش فأنشأ قوة عسكرية كبيرة ليحتمى بها من العاديات ، وفى ذات الوقت فإن هذه القوة الكبيرة أثارت حفيظة الملك مسعود ببغداد وتهيب منها وربما قد يكون هو المقصود والهدف من وراء إنشائها ، فأخذ يحترز ويعمل من أجل الحد من هذه القوة أو التخلص من صاحبها ، وقد جاءت هذه الفرصة مواتية عندما كان الأمير عباس ببغداد زائرا؛ ولعل الملك مسعود هو الذى استدرجه للقيام بمثل هذه الزيارة ، فغدر به وقتله فى سنة (٥٤١ / ١١٤٦م) وبذلك عادت مدينة الرى مرة أخرى لنفوذ الملك مسعود(٢٢٤).

ولكن نفوذ الملك مسعود على مدينة الرى كان ضعيفا بسبب انشغاله فى أمور بغداد، ثم أن نائبه على الرى الذى لم يعلن عن اسمه ، لم يكن على مستوى من الكفاءة، هذه الظروف قد أفسحت المجال أمام القوى الطامعة أن تعاود لتمارس نشاطها من أجل السيطرة على مدينة الرى، ومن بين هذه القوى؛ المماليك ، يتزعمهم (إيتاخ) أو (إينانج) وهم مماليك السلطان سنجر، فقد استغلوا فرصة انشغال السلطان سنجر فى حروبه مع الغز، فتركوا خراسان وتوجهوا نحو مدينة الرى، وربما كانت الظروف التى تمر بها مدينة الرى قد شجعتهم وساعدتهم لغزو مدينة الرى، فاحتلوها فى سنة (٥٤٨هـ / ١١٥٣م) (٢٢٥).

ومن الملاحظ أن هذه الفترة التى نتحدث عنها وما بعدها ، تعتبر مرحلة مميزة فى التاريخ السياسى لمدينة الرى، فالرى لم تعد القوة المركزية التى تهيمن على الولايات المجاورة لها، إذ أخذت تفقد الكثير من سيطرتها على أعمالها ، فلم يعد لها نفوذ على هذه المدن، ويعود ذلك إلى أمرين: الأول يتمثل فى اضطراب وضعها الداخلى وعدم استقراره ، والثانى ظهور حكام أقوياء فى هذه المدن قاموا بقطع هذه التبعية واستقلوا عن مدينة الرى ، وقد ذهب الأمر ببعضهم أبعد من ذلك، فقد طمعوا بغزو مدينة الرى نفسها، وقد قام بذلك حاكم مدينة آرانية(٢٢٦) وأذربيجان المدعو (إيلدكز) ، ولم تمنعه الصداقة وصلة الرحم التى كانت بينه وبين

(إيتاخ) حاكم مدينة الرى، فقد كان محمد الملقب بالبهلوان وهو ابن (إيلدكز) زوجا لابنه (إيتاخ) ، فقد طمع (إيلدكز) أول الأمر بمدينة همذان ثم عدل عنها إلى مدينة الرى لعداوة تولدت بينه وبين صهره (إيتاخ) حاكم مدينة الرى ، وقد تطور هذا العداء إلى حدوث صدام عسكرى بينهما أسفر عن خسارة (إيتاخ) ، وانتهت هذه الخصومة إلى عقد صلح بينهما ، د شروطه أن يدفع (إيتاخ) (لإيلدكز) فى كل سنة مبلغا من المال (٢٢٧). ولكن (إيتاخ) نقض هذا الصلح ووجد أنه مجحف وغير منصف ، فامتنع عن دفع الأموال متعللا بكثرة المصاريف ، فقام (إيلدكز) بغزو مدينة الرى فهرب (إيتاخ) إلى قلعة منيعة تعرف بطبرك سنة (٥٦٤هـ / ١١٦٨م) فلم يهدأ بالٍ (إيلدكز) فاستأجر جماعة من المماليك لحقوا به وتمكنوا من قتله، إلا أن (إيلدكز) لم يقم طويلا فى مدينة الرى فقد تركها وعاد إلى همذان بعد أن أناب عنه، عمر بن على، وهو أحد الأتباع المقربين (٢٢٨)، وفى صيف سنة (٥٦٨هـ / ١١٧٢م) مات (إيلدكز) وخلفه على السلطة ابنه محمد الملقب بالبهلوان (٢٢٩).

الدولة الخوارزمية ومدينة الرى:

كانت الدولة الخوارزمية تشكل خلال هذه الفترة أكبر قوة فى تلك الأقاليم، فنفوذها السياسى يشمل مدينة خوارزم ونيسابور ومدن أخرى، وجميعها كانت تحت نفوذ الملك خوارزم شاه، ولكن فى سنة (٥٨٨هـ / ١١٩٢م) تحرك أحد سلاطين الأتراك المدعو طغرل بن ألب أرسلان وأراد أن يسترجع ما كان لأبيه وأجداده من سلطان على همذان وكذلك مدينة الرى، وكانت الرى وهمذان إبان هذه الفترة تحت نفوذ (قتلغ إينانج بن محمد البهلوان) . فتوجه طغرل نحو همذان فاحتلها ، فهرب (قتلغ) إلى مدينة الرى واتصل بالسلطان خوارزم شاه يطلب منه المساعدة لحمايته من طغرل بن ألب أرسلان ، وعلى الفور جاءت عسكر خوارزم شاه إلى مدينة الرى، ولكن يبدو أن هذه العساكر لم تأت لتحمى وإنما لتستولى ، فقد طمع خوارزم شاه بمدينة الرى، فخاف (قتلغ) على نفسه فهرب إلى قلعة طبرك الحصينة فحاصره خوارزم شاه، ولكنه سأم المقام بالرى فلم يمكث طويلا وغادرها بعد أن ترك بها حامية تدير شئونها ، ليتصدى لأخيه سلطان شاه ويمنعه من احتلال مدينة خوارزم ، وقد أدى ذلك إلى حدوث نزاع بين الأخوين، ومن الطبيعى أن يستغل طغرل بن ألب أرسلان هذه الأوضاع فغزى مدينة الرى مرة أخرى واحتلها فى سنة (٥٩٠هـ / ١١٩٣م) وطرد عنها الحامية العسكرية(٢٣٠).

وعلى أثر ذلك تحرك (قتلغ إينانج) من مخبئه واتصل بالسلطان خوارزم شاه يعتذر له عما بدر منه ويعبر له عن سبب اختبائه عنه، ويطلب منه المساعدة لمحاربة طغرل، وقد أخذ السلطان خوارزم شاه يوازن بين (قتلغ) وبين طغرل، فوجد أن من المصلحة أن يقف إلى جانب (قتلغ) ويساعده عسكريا ضد طغرل ذى الأطماع السياسية، هذا فضلا عن العلاقة السيئة التى كانت بينه وبين طغرل، لذلك قبل عذر (قتلغ) وبعث معه قوة عسكرية لمحاربة طغرل، وقد تمكنت هذه القوه من هزيمة طغرل، فخضعت الرى وهمذان لنفوذ السلطان خوارزم شاه، ثم بعد ذلك سلمها بيد (قتلغ إينانج) ، وهذا دليل على أن العلاقة بينهما كانت طيبة، أو ربما أوضاع السلطان خوارزم حتمت عليه أن يفعل ذلك(٢٣١).

ولكن هذه العلاقة الطيبة كان عمرها قصيراً ما دامت هناك أطماع وتجاوزات ومنافسات للوصول إلى السلطة ، فالحامية العسكرية التى سبق أن تركها خوارزم شاه بمدينة الرى عادت من جديد إليها، فكانت مصدر إيذاء ومضايقه (لقتلغ إينانج) ، فتصدى لهم ولكنهم كانوا أقوى منه، فخرج من الرى ولجأ عند مؤيد الدين، وهو أبو الفضل محمد بن على بن القصاب البغدادى وزير الخليفة العباسى الناصر لدين الله أبى العباس أحمد بن المستضيئ، الذى كان فى زيارة لهذه المدن، وكان على رأس قوة عسكرية أتى بها لإخضاع هذه المدن لطاعة الخليفة، وكان لقاؤه بالوزير عند مدينة ميسان، فأكرمه الوزير وأحسن إليه وزوده بالخيل وما يحتاج إليه الجيش من الخيام، وخلع عليه وعلى من معه من الأمراء، وساروا جميعا إلى كرمان شاه (٢٣٢)، ومنها إلى همذان وكانت العساكر الخوارزمية بهمذان، فلما علموا بقدوم جيش الخليفة تركوا همذان ورحلوا إلى مدينة الرى، فتبعهم الوزير فتركوا الرى إلى دامغان وبسطام(٢٣٣) وجرجان ، بينما استقر جند الخليفة بالرى(٢٣٤).

وقد وجد (قتلغ إينانج) أنه لا نية للوزير مؤيد الدين أن يدعه وشأنه فى حكم الرى، فلم يكن أمامه إلا استخدام القوة ولكن الوزير استطاع القضاء على حركته، فهرب (قتلغ إينانج) إلى مدنية آوة(٢٣٥) فمنعته حامية الوزير من دخول المدينة، عند ذلك قرر محاربة الوزير، وأخذ يجمع الأتباع إلا أنها محاولات كانت يائسة إذ استطاع الوزير هزيمته، وقد عمل الوزير بعد ذلك على إحكام سيطرته على مدينة الرى وهمذان وباقى المدن المجاورة ولكن الجيوش الخوارزمية لم تدعه فقد كانت له بالمرصاد ، إذ أرسل الملك خوارزم شاه الجيوش لغزو همذان والرى، وتمكنت هذه الجيوش من إلحاق الهزيمة بجيش الخليفة الذى يقوده الوزير فى سنة

(٥٩٠هـ/ ١١٩٣م) بعد حروب دامت بينهما، وكان لموت الوزير مؤيد الدين فرصة طيبة أمام الجيوش الخوارزمية لفرض سيطرتها التامة على همذان والرى وسائر المدن المجاورة (٢٣٦).

ويبدو أن مسلسل الحركات الطامعة فى غزو مدينة الرى لم يتوقف ، فكانوا يتحينون الفرص للسيطرة عليها، فقد استغلت جماعة من المماليك التى يطلق عليها الفهلوانية ونفر من الأمراء فرصة غياب الملك خوارزم شاه عن مدينة الرى فوثبوا على السلطة بالرى، ونصبوا عليهم شخصًا يدعى (كوجة) ؛ وهو من أعيان المماليك الفهلوانية ليكون أميرا عليهم ، ثم توجهوا إلى مدينة إصفهان لإخراج الخوارزمية عنها واحتلالها ، إلا أنهم فوجئوا بجيش الخليفة الناصر لدين الله يقوده سيف الدين طغرل قادما لمحاربة الخوارزمية ، فتريث المماليك ينتظرون ما يحدث بين الخوارزمية وجيش الخليفة، وقد فوجئوا بخروج الخوارزمية وتركهم لمدينة إصفهان ، وقد كان المماليك يمتلكون قوة عسكرية كبيرة لها وزنها، فوجد زعيم المماليك (كوجة) أن الفرصة مواتية ليتفاوض مع الخليفة العباسى، وقد تم الاتفاق على أن يحكم (كوجة) مدينة الرى وساوة(٢٣٧) وقم وقاشان وما والاها ، وتكون إصفهان وهمذان وزنجان وقزوين لديوان الخليفة، فوافق الخليفة على هذا الشرط ، وقد بعث الخليفة بالهدايا والخلع توكيدا على حسن العلاقة، كذلك اهتم الأمير (كوجة) بالناحية العسكرية ، لذلك أنشأ قوة كبيرة ليحافظ بها على حدود مدينة الرى وباقى المدن، ولتكون رادعا لأعدائه الطامعين(٢٣٨).

ولم يكن السلطان خوارزم شاه غافلا أو متهاونا إزاء ما قام به الأمير (كوجة) من تحصينات وأعمال عسكرية استفزازية ، ولكنه كان ينتظر الوقت المناسب، ففى سنة (٥٩٤هـ / ١١٩٧م) قام بغزو مدينة همذان واحتلها ثم أتبعها باحتلال مدينة الرى وأعمالها ، وبعث للخليفة العباسى خطابا شديد اللهجة مشفوعا بالتهديد والوعيد، وكان يطلب من الخليفة أن يعترف بسلطانه على المناطق التى احتلها والخطبة له فى بغداد، فلم يستجب له الخليفة ، بل راح يعمل على كسر شوكته وإضعافه ، فاتصل بغياث الدين ملك الغور وغزنة يحرضه على خوارزم شاه، وقد فطن خوارزم شاه لخطط الخليفة، فراح يتصل بالأتراك الخطا يحرضهم ويؤلبهم على غياث الدين، وقد نجح فى ذلك وفوت الفرصة على الخليفة وأحبط مخططه (٢٣٩)، وفى ذات الوقت أحكم قبضته على مدينة الرى وهمذان، وأقر على مدينة الرى شخصًا يدعى (مياجق) ، ونتيجة للظرف السياسى المضطرب الذى تمر به الدولة الخوارزمية فقد دفع ذلك (مياجق) إلى التمرد والخروج عن طاعة خوارزم شاه واستقل بحكم الرى فى سنة (٥٩٥هـ / ١١٩٨م) (٢٤٠).

ومن الطبيعي أن يحدث مثل هذا التمرد والانفصال والاستقلال بحكم مدينة الرى عند بعض العمال، ويعود ذلك نتيجة لأسباب سياسية وجغرافية، وفيما يتصل بالجانب السياسى فإن المدن الخاضعة للنفوذ الخوارزمى لم تكن مستقرة، وولاؤها للدولة الخوارزمية ضعيف ، لذلك فإن السلطان خوارزم شاه منهمك ومشغول للعمل على تأكيد نفوذه على هذه المدن ، هذا الوضع السياسى المتأزم وغير المستقر قد أفسح المجال أمام المسئولين فى مدينة الرى إلى التمرد والثورة، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فهناك العامل الجغرافى المتمثل فى بعد المسافة بين خراسان ومدينة الرى .

ومع ما كان يمر به السلطان خوارزم شاه من صعاب إلا أنه استطاع أن يعيد سلطانه على مدينة الرى، ولم يتمكن (مياجق) من الإفلات من يد خوارزم شاه وقرر قتله لولا وساطة (أفجة) ؛ أخو (مياجق) وكان من المقربين من السلطان خوارزم شاه(٢٤١).

أمام هذه الأوضاع فإن الخليفة العباسى الناصر لدين الله ، وهو الضعيف سياسيا وعسكريا، اضطر إلى الإذعان وقبول الشروط التى أملاها عليه خوارزم شاه، إضافة إلى الهدايا والخلع التى بعثها إلى خوارزم شاه وإلى ابنه قطب الدين محمد، وقد توفى خوارزم شاه فى سنة (٥٩٦هـ / ١١٩٩م) وتولى السلطة بعده قطب الدين محمد الذى لقب نفسه بعلاء الدين(٢٤٢).

مدينة الرى والغزو المغولى:

عندما تعرض العالم الإسلامى إلى هجمات المغول التتار المدمرة فى القرن السابع الهجرى الثالث عشر الميلادى، لم تكن مدينة الرى فى منأى عن هذا الدمار شأنها فى ذلك شأن باقى المدن الإسلامية، ففى سنة (٦١٧هـ / ١٢٢٠م) تعرضت مدينة الرى إلى هجوم بربرى عنيف قام به التتار، ونتج عن ذلك قتل العديد من الرجال والأطفال وسبى النساء واسترقاق الأطفال، هذا فضلا عن اعتدائهم على معالم الحضارة فى مدينة الرى فجعلوها خرابا، ومن ثم عينوا عليها حاكما من قبلهم وانتقلوا إلى مدينة همذان(٢٤٣).

ولكن فى سنة (٦٢٠هـ / ١٢٢٣م) قام غياث الدين؛ وهو أحد أبناء خوارزم شاه، وكان يتولى إصفهان وكرمان، بهجوم مضاد ضد التتر استطاع أن يخلص مدينة الرى من أيديهم، وكان غياث الدين بن خوارزم يعتمد كثيرا على خاله (إيغان طائيسى) فى تدبير شئون مملكته،

فكان لايصدر أمرا إلا بعد مشورته، فهو المستشار الأول، فلما وجد الخال (إيغان طائيسى) أن جميع أمور الإدارة فى يده شجعه ذلك على الاستئثار بالسلطة ، وكان للحاشية دور فعال فى تنفيذ هذه المؤامرة، يضاف إلى ذلك ما قام به الخليفة العباسى الناصر لدين الله من دور مؤيد (لإيغان طائيسى) ، فقد اتفق معه سرا بأن يقطعه هذه البلاد بما فيها مدينة الرى، ولما علم غياث الدين بخيانه الخال أراد الانتقام منه فجمع الأتباع والمؤيدين وألحق الهزيمة بخاله، فهرب الخال إلى أذربيجان وأخذ غياث الدين بعد ذلك يتحصن فاهتم بالناحية العسكرية فأصبح نفوذه قويا على مدينة الرى وعلى سائر المدن التابعة لمملكته(٢٤٤).

ولكن خطر التتار لم يتوقف وقوتهم لم تضعف فقد قاموا فى مطلع سنة (٦٢١هـ / ١٢٢٤م) بشن هجوم مباغت على مدينة الرى اتسم بالعنف ، فأسفر عن خسائر كبيرة فى الأرواح والممتلكات ، ثم انتقلوا بعد ذلك إلى المدن المجاورة ، وساعة الهجوم لم يكن غياث الدين موجودا فى المدينة، فقد كان خارج البلاد منذ سنة (٦٢٠هـ / ١٢٢٣م) متجها نحو خراسان بقصد غزوها وتم له احتلالها ، ومنها توجه إلى مدينة شيراز واحتلها واتخذها مقرا لحكمه خاصة بعد ما علم بتدمير مدينة الرى، ومدينة شيراز تقع فى الجنوب الشرقى لإيران وهى ذات موقع تجارى هام(٢٤٥).

وقد عاود التتار هجماتهم على مدينة الرى فى سنة (٦٢٥هـ / ١٢٢٧م)، فتصدى لهم جلال الدين ؛ أخو غياث الدين واشتد القتال بينهما وطالت مدته، إلا أنه انتهى بجلائهم عن الرى(٢٤٦)، ثم عاودوا هجومهم من جديد على المدينة فى سنة (٦٢٨هـ / ١٢٣٠م) وعلى مدينة همذان ، وقد ساعدتهم فى هذه المرة جماعات من أهل الرى من الباطنية الإسماعيلية المعادين للحكم الخوارزمى فى الرى، ودلوهم على مواطن الضعف التى يعانى منها جلال الدين، وأسفرت هجماتهم عن تدمير المدينة مرة أخرى ونهبها، وهكذا ظلت مدينة الرى تعانى من الضعف السياسى وعدم الاستقرار نتيجة لهجمات التتار المتكررة ونتيجة للاضطرابات فى الداخل من جهة أخرى (٢٤٧).

خاتمة البحث

هذه الجولة البحثية التى كانت بدايتها من العصر العباسى الثانى وحتى سقوط بغداد؛ أى من حوالى سنة (٢٣٢- ٦٥٦هـ / ٨٤٦-١٢٥٨م) كانت فترة مزدحمة بالأحداث السياسية من تاريخ الرى، وهذا دليل على أهمية هذه المدينة ذات الموقع الجغرافى المميز ذى الأبعاد الاقتصادية والسياسية والثقافية والعسكرية.

هذه الأحداث السياسية التى مرت بها مدينة الرى، كانت عبارة عن سلسلة متصلة متشابهة من الصراعات العسكرية القتالية بين هذه القوى من أجل السيطرة على مدينة الرى. هذا المناخ السياسى المتأزم المضطرب وغير المتوازن ، جعل مدينة الرى فى حالة من عدم الاستقرار ، وهذا الوضع لم يفسح لأى من هذه القوى المسيطرة على مدينة الرى المجال للعمل من أجل النهضة الحضارية فى هذه المدينة.

وبحكم موقع مدينة الرى الجغرافى فإنها قد تأثرت بهذه الأحداث وتفاعلت معها، فأثرت وتأثرت بها، فقد تأثروا بأفكار ومعتقدات من غزاهم من هذه القوى، لذلك فقد تعددت بها المذاهب والمعتقدات ، فهناك أهل السنة على اختلاف مذاهبهم والشيعة والمعتزلة والباطنية ، هذه المذاهب كانت عرضة للاضطهاد والتنكيل من قبل القوى المتعاقبة المسيطرة على مدينة الرى ، فبعض هذه القوى كانت تلجأ إلى اضطهاد من يخالفها فى العقيدة والمذهب وتنكل بهم، وهكذا استمر الوضع إبان فترة الاضطراب وعدم الاستقرار السياسى بمدينة الرى.

ومع ما كانت تمر به مدينة الرى من اضطراب وعدم استقرار إلا أنها أنجبت مجموعة من العلماء ورجال الدين البارزين فى عالمنا الإسلامى، فكثيرا ما نقرأ ونسمع بلفظة (الرازى) نسبة إلى مدينة الرى.

وباعتقادى أنه لو لم تتعرض مدينة الرى لمثل هذا الدمار العسكرى والاضطراب السياسى المستمر طوال العصر العباسى الثانى وحتى سقوط بغداد على يد المغول ، لظلت مدينة الرى محتفظة بدورها الحضارى الريادى إلى يومنا هذا، ولأصبحت هى العاصمة لدولة إيران الحديثة.

الهوامش

١- ابن الأثير (أبو الحسن بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم) : الكامل في التاريخ. دار الفكر، بيروت ١٣٩٨م هـ / ١٩٧٨م ج٥ ص٢٧٠-٢٧١ ، وانظر ابن خلدون (عبد الرحمن) : تاريخ ابن خلدون ، مكتبة المدينة، بيروت، ١٩٦٧م، مجلد ٣ ص٥٧٤ .

٢- اليعقوبي (أحمد بن يعقوب بن جعفر بن وهب) : تاريخ اليعقوبي، دار بيروت، بيروت ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م، ص٤٨٠، وانظر ابن الأثير : الكامل ج٥ ص٢٧١ .

٣- ابن الأثير : الكامل ج٥ ص٢٨٤ ، وانظر ابن خلدون : مجلد ٣ ص٥٨٢، وانظر ابن العبري (غريغوريوس أبي الفتح هارون الملطي): تاريخ مختصر الدول، بيروت ١٨٩٠م، ص٢٧٤ .

٤- ابن الأثير : الكامل ج٥ ص٣٠١ .

٥- ابن الأثير : الكامل ج٥ ، ص٢٩٦ .

٦- هو الحسن بن زيد بن محمد بن إسماعيل بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب. انظر الطبري (محمد بن جرير): تاريخ الأمم والملوك، دار القاموس الحديث، سوريا (بدون تاريخ) ، ج١١ ص٩٢ - ٩٣ .

٧- الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج١١ ص٩٢-٩٣ وانظر ابن الأثير: الكامل ج٥ ص٣١٦ .

٨- الطبري : ج١١ ص٩١-٩٢ ، وانظر ابن الأثير: ج٥ ص٣١٦ .

٩- ابن الأثير : ج٥ ص٣١٦ .

١٠- الطبري: ج١١ ص٩٢ ، وانظر ابن الأثير : ج٥ ص٣١٦ .

١١- الطبري : ج١١ ص٩٢ ، وانظر ابن الأثير ج٥ ص٣١٦ .

١٢- الطبري: ج١١ ص٩٣ وانظر المقدسي (أبو زيد أحمد بن سهل المطهر بن طاهر) : البدء والتاريخ ، باعتناء كلمان هوار، باريس ١٩١٩، ج٦، ص١٢٤ ، وانظر ابن الأثير: ج٥ ص٣١٧ .

١٣- الطبري ج ١١ ص٩٣ وانظر المطهر المقدسي، ج٦ ص١٢٤ ، وابن الأثير ج٥ ص٣١٧ .

١٤- ابن الأثير : ج٥ ص٣١٧ .

١٥- لم نتمكن من معرفة باقي اسمه، غير أن الطبري يذكر أنه من أهل مدينة (اللارز) الطبري: ج١١ ص٩٣ ؛ و (اللارز) قرية من أعمال آمل بطبرستان ، ياقوت (أبوعبدالله بن عبدالله) : معجم البلدان، دار صادر، بيروت ١٣٩٧هـ / ١٩٧٣م) مجلده ص٧ ، بينما يكتفي ابن الأثير بذكر إسم (واجن) فقط دون تعليق ، ابن الأثير: ج٥ ص٣١٧ .

١٦- الطبرى ج١١ ص٩٣ ، وانظر ابن الأثير : ج٥ ص٣١٧ .

١٧- الطبرى : ج١١ ص٩٣ ، وانظر ابن الأثير : ج٥ ص٣١٧ .

١٨- على مرسى (د. نعمة) : دولة آل زيان فى طبرستان وجرجان وما جاورها، دار الهداية (بدون تاريخ) ص١٠ .

١٩- الطبرى : ج١١ ص٩٣ .

٢٠- ابن الأثير : ج٥ ص٣٢٩ .

٢١- المسعودى: مروج الذهب ، ج٤ ص٦٩ .

٢٢- المسعودى :ج٤ ص٩٦ .

٢٣- ابن الأثير : ج٥ ص٣٤٥ .

٢٤- المسعودى: ج٤ ص١٠٨ ، وانظر ابن خلدون : مجلد ٣ ص٦٣٧ .

٢٥- ابن خلدون : مجلد ٣ ص٧١٤ .

٢٦- ابن لأثير: ج٥ ص٣٦٠-٣٦٤ .

٢٧- ابن كثير (أبو الفداء الحافظ) : البداية والنهاية، باعتناء د. أحمد أبو ملحم وآخرين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م) ، مجلد ٦ ص٢٧ .

٢٨- ابن الأثير : ج٥ ص٣٦٠-٣٦٤ وانظر ابن خلدون: مجلد ٣ ص٧١٤ .

٢٩- ابن الأثير : ج٥ ص٣٦٧ .

٣٠- ابن الأثير : ج٥ ص٣٧١ .

٣١- ابن الأثير: : ج ٦ ص٢ .

٣٢- ابن خلدون : مجلد ٣ ص٧١٦ .

٣٣- ابن الأثير : ج٦ ص١٣ .

٣٤- ابن الأثير : ج٦ ص٢٤ ، وانظر ابن خلدون: مجلد٣ ص٧١٨ ، وانظر ابن كثير: البداية مجلد ٦ ج١١ ص٤٢ .

٣٥- ابن خلدون : مجلد ٣ ص٦٩٨ .

٣٦- ابن كثير: : مجلد ٦ ج١١ ص٥٤ .

٣٧- ابن خلدون : مجلد ٣ ص٧٣٠ .

٣٨- المسعودى : مروج الذهب، ج٤ ص١٥٤ ، وانظر ابن خلدون : مجلد ٣ ص٧٣٠ .

٣٩- المسعودى : ج٤ ص١٥٧ .

٤٠- المسعودى : ج٤ ص١٥٧ ، وانظر ابن الأثير : ج٦ ص٧٨ ، وانظر ابن خلدون : مجلد ٣ ص٧٣٢ .

٤١- ابن كثير : البداية : مجلد ٦ ج١١ ص٧٥ .

٤٢- ابن الأثير: ج٦ ص٨٠ ، وانظر ابن خلدون : مجلد ٣ ص٧٣٤ .

٤٣- ابن الأثير : ج٦ ص٨٨ .

٤٤- ابن الأثير : ج٦ ص١٠٤-١٠٧ وانظر ابن خلدون : مجلد ٣ ص٧٤٥-٧٤٦ .

٤٥- ابن مسكويه (أبو على أحمد بن محمد) : تجارب الأمم، باعتناء ؛ آمدروز، مصر ١٣٣٢هـ / ١٩١٤م، ج١ ص٣٢ . وانظر ابن الأثير: ج٦ ص١٤٤ ، وانظر ابن خلدون: مجلد٣ ص٧٧٠ .

٤٦- ابن الأثير : ج٦ ص١٥٥ .

٤٧- ابن مسكويه : ج١ ص٤٥-٤٦ . وانظر ابن الأثير : ج٦ ص١٥٥ ، وانظر ابن خلدون : مجلد ٣ ص٧٧٤ ؛ ٧٧٥ .

٤٨- ابن الأثير: ج٦ ص١٥٥ .

٤٩- ابن مسكويه : ج١ ص٤٦-٤٧ .

٥٠- ابن الأثير: : ج٦ ص١٦ ، وانظر ابن خلدون : مجلد ٣ ص٧٧٧ .

٥١- ابن مسكويه : ج١ ص٥٦ .

٥٢- ابن الأثير: ج٦ ص١٥٦ وانظر ابن خلدون : مجلد ٣ ص٧٧٦ .

٥٣- ابن الأثير: ج٦ ص١٦٦ ، وانظر ابن خلدون : مجلد ٣ ص٧٧٦ .

٥٤- ابن مسكويه : ج١ ص٨٢-٨٣ ، وانظر ابن الأثير : ج٦ ص١٧١ .

٥٥- ابن مسكويه: ج١ ص١١٩، وانظر ابن الأثير: ج٦ ص١٧٥ ، وانظر ابن خلدون ، مجلد ٣ ص٨١٤ .

٥٦- ابن مسكويه : ج١ ص١١٩ ، وانظر ابن الأثير: ج٦ ص١٧٥ .

٥٧- ابن الأثير: ج٦ ص١٨٥ ، وانظر ابن خلدون : مجلد ٣ ص٧٨٠ .

٥٨- ابن الأثير: ج٦ ص١٨٥ ، وانظر ابن خلدون : مجلد ٣ ص٧٨٠-٧٨١ .

٥٩- التنوخى (القاضى أبو على الحسن بن على) : نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة ، تحقيق عبود الشالجى المحامى ، ١٣٩١هـ / ١٩٧١م) ج١ ص٣٢٤ .

٦٠- المسعودى: مروج ، ج٤ ص٢٧٩ .

٦١- التنوخى : نشوار، ج١ ص٣٢٤ .

٦٢- ابن الأثير: ج٦ ص١٩٥ .

٦٣- ابن مسكويه : ج٢ ص١٦١ ، وانظر ابن الأثير : ج٦ ص١٩٦ .

٦٤- ابن مسكويه : ج٢ ص١٦١ ، وانظر التنوخى : نشوار : ج١ ص٣٢٤ ، وانظر ابن الأثير: ج٦ ص١٩٨ ، وانظر ابن كثير : البداية : مجلد٦ ج١١ ص١١٦ .

٦٥- ابن الأثير: ج٦ ص٢١٤ .

٦٦- ابن الأثير: ج٦ ص٢٣٠-٢٣٢ .

٦٧- الأهواز أصلها أحواز، فقلبتها الفرس إلى أهواز لأنه ليس فى كلام الفرس حاء . وهى بلدة كبيرة تقع بين البصرة وفارس، تضم مجموعة من المدن، مثل سوق الأهواز ورام هرمز إيذج وعسكر مكرم وتستر وغيرها . انظر ياقوت الحموى : معجم البلدان ، مجلد ١ ص٢٨٤ .

٦٨- بنو بويه : اسم لأسرة كانت تسكن بلاد الديلم من بلاد فارس، وكان ألمع رجالها ثلاثة : وهم : عماد الدولة أبو الحسن على وركن الدولة أبو على الحسن ومعز الدولة أبو الحسين أحمد وهم أولاد أبى شجاع بويه بن فناخسرو بن تمام . وقد اختلف المؤرخون حول المكانة الاجتماعية لهذه الأسرة ، فبعضهم من ينسبهم إلى ملوك ساسان، والبعض الآخر يقول : أنهم من دهماء الناس. انظر ابن خلكان (أحمد بن محمد بن أبى بكر) : وفيات الأعيان . تحقيق د. إحسان عباس، دار الثقافة ، بيروت (بدون تاريخ) ، المجلد ١ ص٤٠٥ ، وانظر محمود (د. حسن أحمد وأحمد الشريف) : العالم الإسلامى فى العصر العباسى ، دار الفكر العربى ١٩٧٧، ص٤٩٠ .

٦٩- ابن الأثير : ج٦ ، ص٢٢٩-٢٣٨ .

٧٠- ابن مسكويه : ج١ ص٢٦٥ .

٧١- ابن الأثير : ج٦ ص٢٣٦ .

٧٢- ابن مسكويه : ج١ ص١٦٢ .

٧٣- ابن الطقطقى (محمد بن على بن طباطبا) تاريخ الدولة الإسلامية ، دار صادر، بيروت ١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م ص٢٨٠ ، وانظر ابن خلدون : مجلد ٣ ص٨٥٤ .

٧٤- ابن الأثير : ج٦ ص٢٦٧ ، وانظر ابن خلدون : مجلد ٣ ص٨٥٤ .

٧٥- ابن مسكويه : ج١ ص٤١١ ، وانظر ابن الأثير : ج٦ ص٢٧٠ ، وانظر ابن خلدون : مجلد ٣ ص٨٥٤ .

٧٦- ابن مسكويه : ج١ ص٤١١ ، وانظر ابن الأثير :ج٦ ص٢٧٢ .

٧٧- ابن مسكويه : ج٢ ص٤-٥ ، وانظر ابن الأثير : ج٦ ص٢٧٣ .

٧٨- ابن الأثير: ج٦ ص٢٧٨ .

٧٩- ابن مسكويه : ج٢ ص٦ ، وانظر ابن الأثير: ج٦ ص٢٧٨ .

٨٠- ابن مسكويه : ج٢ ص٦ ، وانظر ابن الأثير : ج٦ ص٢٧٨ .

٨١- ابن مسكويه : ج٢ ص٨ ، وانظر ابن الأثير : ج٦ ص٢٨٨ .

٨٢- ابن مسكويه : ج٢ ص٨وانظر ابن الأثير : ج٦ ص٣١١ .

٨٣- ابن الأثير: ج٦ ص٣١١ .

٨٤- ابن الأثير: ج٦ ص٣١٢ .

٨٥- ابن الأثير: : ج٦ ص٣١٢ .

٨٦- ابن مسكويه : ج٢ ص١٠٢ ، وانظر ابن الأثير : ج٦ ص٣١٩ .

٨٧- ابن الأثير : ج٦ ص٣٢٠ .

٨٨- ابن مسكويه : ج٢ ص١٠٨ ، وانظر ابن الأثير : ج٦ ص٣٢٤ .

٨٩- ابن الأثير : ج ٦ ص٣٢٦ .

٩٠- ابن الأثير: ج٦ ص٣٢٨ .

٩١- ابن مسكويه : ج٢ ص١١٧ ، وانظر ابن الأثير : ج٦ ص٣٢٩ .

٩٢- ابن مسكويه : ج٢ ص١٣٢ ، وانظر ابن الأثير : ج٦ ص٣٣٠ .

٩٣- ابن مسكويه : ج٢ ص١٣٢ ، وانظر ابن الأثير : ج٦ ص٣٣٠ .

٩٤- ابن مسكويه : ج٢ ص١٣٢ ، وانظر ابن الأثير: ج٦ ص٣٣٠ .

٩٥- شيراز : تقع فى الجنوب الشرقى من إيران ، فى إقليم بلاد فارس وهى من أكبر مدنه، فهى قصبة هذه البلاد. ياقوت : معجم البلدان مجلد٣ ص٣٨٠ .

٩٦- ابن الأثير: : ج٦ ص٣٣٢ .

٩٧- العمرى(محمد بن على بن محمد) : الأنباء فى تاريخ الخلفاء، تحقيق د. قاسم السامرائى ، المعهد الهولندى للآثار، القاهرة ١٩٧٣م، ص١٧٧ .

٩٨- ابن مسكويه : ج٢ ص١٣٨-١٣٩ ، وانظر ابن الأثير: ج٦ ص٣٣٥ .

٩٩- ابن مسكويه : ج٢ ص١٣٨-١٣٩ ، وانظر ابن الأثير: ج٦ ص٣٣٥-٣٣٦ .

١٠٠- ابن الأثير: ج٦ ص٣٣٨ .

١٠١- نسا : مدينة تابعة لولاية خراسان، وذكروا أن المسلمين الفاتحين هم الذين أطلقوا عليها اسم

(نساء) لأنهم لما فتحوها لم يجدوا بها رجالا انظر صفى الدين البغدادى (عبد المؤمن بن عبد الحق) : مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ، تحقيق وتعليق على محمد البجاوى، دار إحياء الكتب العربية ، ١٣٧٣هـ / ١٩٥٤م ج٣ ص١٣٦٩ .

١٠٢- ابن الأثير: ج٦ ص٣٣٨ .

١٠٣- ابن الأثير: ج٦ ص٣٤٢ .

١٠٤- ابن مسكويه : ج٢ ص١٥٤ ، وانظر ابن الأثير: ج٦ ص٣٤٤ .

١٠٥- ابن مسكويه : ج٢ ص١٥٥ ، وانظر ابن الأثير : ج٦ ص٣٤٤ .

١٠٦- ابن الأثير: ج٦ ص٣٤٥ .

١٠٧- ابن مسكويه : ص١٥٧ ، وانظر ابن الأثير : ج٦ ص٣٤٦ .

١٠٨- ابن مسكويه : ج٢ ص١٥٧ ، وانظر ابن الأثير: ج٦ ، ص٣٤٧ .

١٠٩- ابن الأثير: ج٦ ص٣٤٨ .

١١٠- ابن مسكويه : ج٢ ص١٦١ ، وانظر ابن الأثير : ج٦ ص٣٤٨ .

١١١- ابن الأثير: ج٦ ص٣٥٣ .

١١٢- ابن الأثير: ج٦ ص٣٤٧ .

١١٣- ابن الطقطقي : تاريخ الدولة الإسلامية، ص٢٨٠ .

١١٤- ابن مسكويه : ج٢ ص١٦٨ ، وانظر ابن الأثير : ج٦ ص٣٥٦ .

١١٥- ابن الأثير: ج٦ ص٣٥٩ .

١١٦- ابن الأثير: ج٧ ص٣ .

١١٧- ابن الأثير : ج٧ ص١٨ .

١١٨- العمرى : الأنباء فى تاريخ الخلفاء ، ص٨٩ .

١١٩- ابن مسكويه : ج٢ ص٢٢٢-٢٢٣، وانظر ابن الأثير : ج٧ ص١٨ .

١٢٠- ابن مسكويه : ج٢ ص٢٣٢-٢٣٣ وانظر ابن الأثير: ج٧ ص٢٣ .

١٢١- ابن الأثير: ج٧ ص٢٣ .

١٢٢- ابن مسكويه : ج٢ ص٢٧٠-٢٧١ ، وانظر ابن الأثير: ج٧ ص٣٧-٣٨ .

١٢٣- ابن الأثير: ج٧ ص٦٠-٦١ .

١٢٤- ابن الأثير: ج٧ ص٨٠ وانظر الحافظ الذهبى : العبر فى أخبار من غبر، تحقيق فؤاد سيد، مطبعة حكومة الكويت ، ١٩٨٤م، ج٢ ص٣٤١ .

١٢٥– ابن الأثير: ج٧ ص٨١ ، وانظر ابن كثير : البداية ج١١ ، ص٣٠١ .

١٢٦– ابن مسكويه : ج٢ ص٣٦٥ وما بعدها، وانظر ابن الأثير : ج٧ ص٨٢–٩٠ .

١٢٧– ابن الأثير: ج٧ ص١٠١ .

١٢٨– ابن الأثير : ج٧ ص١٠٣ .

١٢٩– سهرورد : مدينة تابعة لمدينة زنجان في منطقة الجبال، وهي من أعمال مدينة الري، وكانت من مراكز الثقافة والعلم، فقد أنجبت الكثير من العلماء كانوا يترددون على بغداد. أنظر ياقوت الحموى، معجم البلدان مجلد ٣ ص٢٨٩ .

١٣٠– القزويني (عبد الكريم بن محمد الرافعي) : التدوين في أخبار قزوين ، تحقيق عزيز الله العطاردى، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م، ج٣ ص١١٩ ، وانظر ابن الأثير: ج٧ ص٩٤ .

١٣١– الفارقي (أحمد بن يوسف بن على بن الأزرق) : تاريخ الفارقي ، تحقيق د. بدوى عبد اللطيف عوض، المطابع الأميرية، القاهرة ١٣٧٩هـ / ١٩٥٩م ص٧٠ .

١٣٢– ابن الأثير: ج٧ ص١٠٨ .

١٣٣– ابن الأثير: ج٧ ص١٠٨ .

١٣٤– أبو شجاع : (محمد بن الحسين الروذراورى) : ذيل تجارب الأمم ، مطبعة التمدن بمصر ١٣٣٤هـ/ ١٩١٦م، ج٣ ص٣٩ ، وانظر ابن الأثير : ج٧ ص١١٣ .

١٣٥– ابن الأثير: ج٧ ص١١٧–١١٨ .

١٣٦– ابن الأثير: ج٧ ص١٢٧–١٣٠ .

١٣٧– ابن الأثير: ج٧ ص١٣٤ .

١٣٨– ابن الأثير: ج٧ ص١٣٤ .

١٣٩– ابن الأثير ، ج٧ ص١٣٦ .

١٤٠– ابن الأثير: ج٧ ص١٣٩–١٤٠ .

١٤١– العمراني : ص٨٤ .

١٤٢– الفارقي : ص٧٠ ، وانظر ابن الأثير: ج٧ ص١٦٩ .

١٤٣– أبو شجاع : ذيل تجارب الأمم ج٣ ص٢٦١ .

١٤٤– أبوشجاع : ج٣ ص٢٦١ .

١٤٥– ابن الأثير: ج٧ ص١٧٠ .

١٤٦- أبوشجاع : ج٣ ص٢٦٢ .

١٤٧- أبوشجاع : ج٣ ص٢٦٣ .

١٤٨- أبوشجاع : ج٣ ص٢٦٤ .

١٤٩- أبوشجاع : ج٣ ص٢٩١ .

١٥٠- العمراني : ص٨٤ .

١٥١- ابن الأثير : ج٧ ص١٨٦ .

١٥٢- أبوشجاع : ج٣ ص٢٩٧ ، وانظر ابن الأثير : ج٧ ص١٩١-١٩٣ .

١٥٣- أبوشجاع : ج٣ ص٢٩٨ .

١٥٤- أبوشجاع : ج٣ ص٢٩٨ .

١٥٥- أبوشجاع : ج٣ ص٢٩٨ .

١٥٦- أبوشجاع : ج٣ ص٢٩٨ .

١٥٧- براون (إدوارد روجر انفيل) : تاريخ الأدب فى إيران، ترجمة د. إبراهيم أمين الشواربى ، مطبعة السعادة بمصر ١٣٧٣ هـ / ١٩٥٤م، ص١٩٨ .

١٥٨- نعمة : دولة آل زيان فى طبرستان ص٧٤ .

١٥٩- براون : ص١٩٨ .

١٦٠- أبوشجاع: ج٣ ص٣١١، وانظر ابن الأثير: ج٧ هامش ص١٩٠ ، وانظر ابن كثير: ج١١ ص٣٤٦ .

١٦١- أبوشجاع : ج٣ ص٤٤٩ .

١٦٢- أبوشجاع : ج٣ ص٤٥٠ ، وانظر ابن الأثير : ج٧ ص٢٤٠ .

١٦٣- أبوشجاع : ج٣ ص٤٥٠ .

١٦٤- أبوشجاع : ج٣ ص٤٥٢، وانظر لابن الأثير : ج٧ ص٢٤٠ .

١٦٥- أبوشجاع : ج٣ ص٤٥٢ .

١٦٦- ابن الأثير : ج٧ ص٢٣٩ .

١٦٧- ابن الأثير: ج٧ ص٢٤٠ .

١٦٨- ابن الأثير: ج٧ ص٢٧٤ .

١٦٩- ابن الأثير: ج٧ ص٣٣٥ .

١٧٠- ابن الأثير : ج٧ ص٣٣٥-٣٣٦ .

١٧١– ابن الأثير: ج٧ ص٣٣٦ ، وانظر البروفيسور رينولد ، أ. نكلسن : تاريخ الأدب العباسى، ترجمة د. صفاء خلوصى ، منشورات المكتبة الأهلية ، بغداد ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م، ص٣٨ .

١٧٢– ابن الأثير: ج٧ ص٣٣٥–٣٣٦ .

١٧٣– سرجهان : قلعة تشرف على جبال الديلم، وتحدها من المدن قزوين وزنجان، وهى قلعة وربما اتسعت رقعتها حتى أصبحت مدينة. أنظر ياقوت الحموى : مجلد ٣ ص٢٠٧ .

١٧٤– ابن الأثير : ج٧ ص٣٣٦ .

١٧٥– ابن الأثير : ج٧ ص٣٣٨–٣٣٩ .

١٧٦– أبو الفضل البيهقى (محمد بن حسين) : تاريخ البيهقى ، ترجمة يحيى خشاب وصادق نشأت ، مكتبة الأنجلو المصرية (لايوجد تاريخ للطبع) ، ص٦٨ ، وأنظر ابن الأثير: ج٧ ص٣٣٨–٣٣٩ .

١٧٧– ألو الفضل البيهقى: ص١٦–١٧ ، وانظر ابن الأثير: ج٧ ص٣٤٥ .

١٧٨– ابن الأثير : ج٧ ص٣٤٧ .

١٧٩– أبو الفضل البيهقى : ص١٨ .

١٨٠– أبو الفضل البيهقى: ص١٩ .

١٨١– أبو الفضل البيهقى : ص١٨ .

١٨٢– ابن الأثير: ج٧ ص٣٤٧ .

١٨٣– أبو الفضل البيهقى : ص١٧ .

١٨٤– أبو الفضل البيهقى : ص٢٤ .

١٨٥– أبو الفضل البيهقى : ص١٦ ، وانظر ابن الأثير : ج٧ ص٣٤٧ .

١٨٦– أبو الفضل البيهقى : ص٤١٠ .

١٨٧– أبو الفضل البيهقى: ص٤١٠ .

١٨٨– قصران : موضعان حصينان فى جبال الرى، يأوى إليهما الفارون من السلطة ، انظر ياقوت الحموى: معجم البلدان مجلد٤ ص٣٥٣ .

١٨٩– ابن الأثير : ج٧ ص٣٤٨–٣٤٩ .

١٩٠– ابن الأثير: ج٧ ص٣٥٤–٣٥٥ .

١٩١– ابن الأثير: ج٧ ص٣٥٦ .

١٩٢– ابن الأثير: ج٨ ص٢–٣ .

١٩٣- ابن الأثير: ج٨ ص٤ .

١٩٤- أبو الفضل البيهقى : ص٤١١ .

١٩٥- أبو الفضل : البيهقى : ص٤١٢ .

١٩٦- أبو الفضل البيهقى : ص٤١٥-٤١٦ .

١٩٧- ابن الأثير: ج٨ ص٤ .

١٩٨- إيدج: بلدة تقع بين خوزستان وإصفهان ، ومناخها شديد البرودة وأكثر إنتاجها من الفواكه . أنظر ياقوت الحموى : معجم البلدان مجلد١ ص٢٨٨ .

١٩٩- ابن الأثير : ج٨ ص٦ .

٢٠٠- الطرم : قلعة حصينة من بلاد فارس؛ وكان الجغرافيون يطلقون على الأجزاء الجنوبية الشرقية من إيران اسم بلاد فارس، أنظر ياقوت الحموى: معجم البلدان مجلد ٤ ص٣٢ .

٢٠١- ابن الأثير: ج٨ ص١٠ .

٢٠٢- ابن الأثير: ج٨ ص٢٦- ٢٧ .

٢٠٣- ابن الأثير: ج٨ ص٣٠ .

٢٠٤- الفارقى: ص١٥٥ ، وانظر العمرانى : ص١٨٨ ، وانظر ابن الأثير : ج٨ ص٣٤-٣٥ ، وانظر ابن كثير: ج١٢ ص٥٤ .

٢٠٥- ابن كثير : ج١٢ ص٥٤ .

٢٠٦- الحافظ الذهبى: العبر ، ج٣ ص١٨٤ .

٢٠٧- ابن الأثير: ج٨ ص٣٤ .

٢٠٨- ابن الأثير: ج٨ ص٤٦ .

٢٠٩- ابن الأثير: ج٨ ص٥٤ ، وانظر ابن كثير : ج١٢ ص٦٦ ، وانظر الحافظ الذهبى: ج٣ ص٢٠٣ .

٢١٠- ابن الأثير: ج٨ ص٨٧ ، وانظر الحافظ الذهبى : ج٣ ص٢٢٦ ، وانظر براون (إدوارد): تاريخ الأدب فى إيران ص٢١٣ .

٢١١- ابن الأثير: ج٨ ص٩٤ ، وانظر بن العبرى (غريغوريوس أبى الفرج بن هارون الملطى) ، تاريخ مختصر الدول المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٨٩٠م، ص٣٢١ ، وانظر ابن كثير : ج١٢ ص٩٥ .

٢١٢- ابن الأثير: ج٨ ص٩٨، وانظر ابن كثير : ج١٢ ص٩٧ ، وانظر الحافظ الذهبى : ج٣ ص٢٣٨-٢٣٩ .

٢١٣- ابن الأثير: ج٨ ص٩٩ - ١١٢ - ١١٣ .

٢١٤- ابن الأثير: ج٨ ص١١٤ .

٢١٥- ابن الأثير: ج٨ ص١٦٣-١٧٠ ، وانظر ابن كثير: ج١٢ ص١٦٧ ، وانظر القلقشندى (أحمد بن عبدالله) : مآثر الإنافة فى معالم الخلافة، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، مطبعة حكومة الكويت ١٩٨٥م، ج٢ ص١٢-١٣ وانظر براون : تاريخ الأدب فى إيران ص٢٧٥ .

٢١٦- ابن الأثير: ج٨ ص٢١٤-٢١٥ ، وانظر ابن كثير : ج١٢ ص١٧٥ .

٢١٧- آران : عبارة عن إقليم فى إيران ويضم مجموعة من المدن، انظر ياقوت الحموى: معجم البلدان، مجلد ١-٤ ص١٣٦-٤٨٢ .

٢١٨- ابن الأثير: ج٨ ص٢١٦-٢١٧ .

٢١٩- الفارقى : ص٢٨٦ .

٢٢٠- القلقشندى : ج٢ ص٢٥ .

٢٢١- ابن الأثير: ج٩ ص٢ .

٢٢٢- ابن الأثير: ج٩ ص١٠ .

٢٢٣- ابن الأثير: ج٩ ص١٥ ، وانظر ابن كثير : ج١٢ ص٢٣٧ .

٢٢٤- ابن الأثير : ج٩ ص٤١ .

٢٢٥- وهو نفس الاسم لإقليم آران الذى مر ذكره .

٢٢٦- ابن الأثير : ج٩ ص٣٧-٤٧ .

٢٢٧- ابن الأثير: ج٩ ص١٠٤ .

٢٢٨- ابن الأثير: ج٩ ص١١٩ .

٢٢٩- ابن الأثير: ج٩ ص٢٣٠-٢٣١ ، وانظر ابن كثير : ج١٣ ص١٠-١١ ، وانظر القلقشندى : مآثر الإنافة فى معالم الخلافة ج٢ ص٥٨ .

٢٣٠- ابن الأثير: ج٩ ص٢٣٠-٢٣١ ، وانظر ابن كثير : ج١٣ ص١٠-١١ ، وانظر القلقشندى : الأناقة ج٢ ص٥٨ .

٢٣١- كرمان شاه : من ولايات إيران الكبيرة ، وتضم مجموعة من المدن والقرى ، تحدها من الشمال خراسان ومن الجنوب الشرقى بحر فارس ومكران ، انظر ياقوت الحموى: معجم البلدان مجلد ٤ ص٤٥٤ .

٢٣٢- بسطام : مدينة والبعض يقول أنها قرية تتبع ولاية قومس وهى على الطريق إلى نيسابور . أنظر ياقوت الحموى: معجم البلدان، مجلد ١ ص٤٢١ .

٢٣٣- ابن الأثيـر: ج٩ ص٢٣٢ ، وانظر ابن كـثـيـر : ج١٣ ص١٢ ، وأنظر الحـافظ الذهبى : ج٤ ص٢٧٩-٢٨٠ .

٢٣٤- ابن الأثير : ج٩ ص٢٣٢ .

٢٣٥- أوه : قرية تقع بين زنجان وهمذان : انظر ياقوت الحموى : مجلد ١ ص٢٨٣ .

٢٣٦- ابن الأثير: ج٩ ص٢٣٤ .

٢٣٧- ساوه : كانت مدينة جميلة تقع فى وسط الطريق بين الرى وهمذان، حيث أنها تبعد عن كل من المدينتين ٩٠ ميلا ، انظر ياقوت الحموى: مجلد ٣ ص١٧٩ .

٢٣٨- ابن الأثير: ج٩ ص٢٤١ .

٢٣٩- ابن الأثير: : ج٩ ص٢٤١ .

٢٤٠- ابن الأثير: ج٩ ص٢٤٨ .

٢٤١- ابن الأثير: ج٩ ص٢٤٨-٢٥٠ ، وانظر ابن كثير : ج١٣ ص٢٥ .

٢٤٢- ابن الأثير: ج٩ ص٣٣٥-٣٤٥ ، وانظر ابن كثير : ج١٣ ص٩٤ .

٢٤٣- ابن الأثير: ج٩ ص٣٥١ .

٢٤٤- ابن الأثير: ج٩ ص٣٥٢-٣٥٣ ، وانظر ابن كثير : ج١٣ ص١١٢ .

٢٤٥- ابن الأثير: ج٩ ص٣٧٦ ، وانظر ابن كثير : ج١٣ ص١٢٦-١٣٢ .

٢٤٦- ابن الأثير: ج٩ ص٣٨٣ ، وانظر ابن كثير : ج١٣ ص١٣٧ .

قائمة بأسماء المصادر والمراجع

ابن الأثير: (أبو الحسن بن أبى الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم) :

الكامل فى التاريخ، دار الفكر بيروت ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م.

براون (إدوارد روجر أنفيل) :

تاريخ الأدب فى إيران، ترجمة د. إبراهيم أمين الشواربى ، مطبعة السعادة بمصر ١٣٧٣هـ / ١٩٥٤م.

التنوخى (القاضى أبى على الحسين بن على) :

نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة ، تحقيق عبود الشالجى المحامى ، ١٣٩١هـ / ١٩٧١م .

الحافظ الذهبى:

العبر فى أخبار من غبر ، تحقيق فؤاد سيد ، مطبعة حكومة الكويت ١٩٨٤م.

ابن خلدون (عبد الرحمن) :

تاريخ ابن خلدون ، مكتبة المدينة ، بيروت ١٩٦٧م.

ابن خلكان (أحمد بن محمد بن أبى بكر) :

وفيات الأعيان ، تحقيق د. إحسان عباس ، دار الثقافة بيروت (بدون تاريخ) .

البروفيسور رينولد . أ. نكلسن :

تاريخ الأدب العباسى، ترجمة د. صفاء خلوصى، منشورات المكتبة الأهلية ، بغداد ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧م.

أبوشجاع ظهير الدين (محمد بن الحسين الروذراورى) :

ذيل تجارب الأمم ، مطبعة التمدن بمصر ، ١٣٣٤هـ / ١٩١٦م.

صفى الدين البغدادى (عبد المؤمن بن عبد الحق) :

مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق وتعليق على محمد البجاوى، دار إحياء الكتب العربية ، ١٣٧٣هـ / ١٩٥٤م.

الطبرى (محمد بن جرير) :

تاريخ الأمم والملوك ، دار القاموس الحديث ، سوريا (بدون تاريخ) .

ابن الطقطقى (محمد بن على بن طباطبا):

تاريخ الدولة الإسلامية، دار صادر، بيروت ١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م.

ابن العبرى (غريغوريوس أبى الفتح بن هارون المالطى):

تاري مختصر الدول، بيروت ١٨٩٠م.

على مرسى (د. نعمة) :

دولة آل زيان فى طبرستان وجرجان وما جاورها، دار الهداية (بدون تاريخ) .

العمرى (محمد بن على بن محمد) :

الأنباء فى تاريخ الخلفاء ، تحقيق د. قاسم السامرائى، المعهد الهولندى للآثار ، القاهرة ١٩٧٣م.

الفارقى (أحمد بن يوسف بن على بن الأزرق):

تاريخ الفارقى ، تحقيق د. بدوى عبد اللطيف عوض، المطابع الأميرية، القاهرة ١٣٧٩هـ / ١٩٥٩م.

أبو الفضل البيهقى (محمد بن حسين) :

تاريخ البيهقى، ترجمة د. يحيى خشاب وصادق نشأت ، مكتبة الأنجلو المصرية.

القزوينى (عبد الكريم بن محمد الرافعى) :

التدوين فى أخبار قزوين ، تحقيق عزيز الله العطاردى ، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م.

القلقشندى (أحمد بن عبدالله) :

مآثر الإنافة فى معالم الخلافة، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، مطبعة حكومة الكويت، ١٩٨٥م.

ابن كثير (أبو الفداء الحافظ) :

البداية والنهاية، باعتناء د. أحمد أبو ملحم وآخرين، دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.

محمود (د. حسن أحمد ود. أحمد الشريف) :

العالم الإسلامى فى العصر العباسى ، دار الفكر العربى ١٩٧٧م.

المسعودى (أبو الحسن على بن الحسين بن على) :

مروج الذهب ومعادن الجوهر، دار الأندلس ، بيروت ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م.

المقدسى (أبو زيد أحمد بن سهل المطهر بن طاهر) :

البدء والتاريخ ، باعتناء كلمان هوار، باريس ١٩١٩م.

ابن مسكويه (أبى على أحمد بن محمد) :

تجارب الأمم، باعتناء أمدروز ، مصر ١٣٣٢هـ / ١٩١٤م.

ياقوت الحموى (أبو عبدالله بن عبدالله) :

معجم البلدان، دار صادر ، بيروت ١٣٩٧هـ / ١٩٧٣م.

اليعقوبى (أحمد بن يعقوب بن جعفر بن وهب):

تاريخ اليعقوبى ، دار بيروت ، بيروت ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠ م.